ملاحـــق

- محو صيغة التثليث من الطبعات الحديثة
- روايات الصلب
- روايات القيامة
- روايات الظهور
- روايات هلاك يهوذا الخائن
- ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل
- المسيح فى الأناجيل
- بولس
- المرأة فى الأديان
- شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

الملحق رقم (١)

محو صيغة التثليث من الطبعات الحديثة

وردت هذه الصيغة فى **رسالة يوحنا الأولى - الإصحاح الخامس : العدد ٧** - وكانت تعتبر النص الوحيد - فى الكتاب المقدس - الذى يعطى الأساس لعقيدة التثليث التى تقول بأن **الثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس هم واحد !**

لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفتها باعتبارها نصا دخيلا أقحمه كاتب مجهول منذ قرون .

يقول كتاب : « **هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله ؟** » الذى طبع فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ ، ثم فى بيروت ، بالعربية عام ١٩٧١ **ويوزع كرسالة تنصيرية** ، فى صفحة ١٦٠ - وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التى من شأنها تنقية الكتاب المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة - ما يلى :

« بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء ، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها .

مثالا على ذلك : الإدخال الزائف فى يوحنا الأولى ، الإصحاح الخامس ، فالجزء الأخير من العدد ٧ والجزء الأول من العدد ٨ يقول : حسب الترجمة البروتستنتينية العربية ، طبع الأميركان فى بيروت (ونقرأ فى الترجمة اليسوعية العربية شيئًا مماثلا) .

(فى السماء ... الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة) .

ولكن ، طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد ، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات . وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كليا من المتن . والترجمة البروتستنتينية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين،موضحة فى المقدمة أنه(ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها) . وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه »[1] .

* *

هذا - وتقول ترجمة الكتاب المقدس العربية للكاثوليك :

« لأن الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والشهود فى الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم فى واحد - ١ يوحنا ٥ : ٧ - ٨ » .

*

وتقول ترجمة الكتاب المقدس العربية للبروتستانت :

« فإن الذين يشهدون (فى السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » .

وإذا رجعنا إلى التنبيه الذى وضعته هذه الترجمة فى مطلعها نجده يقول فى الكلمات التى توضع بين هلالين أو قوسين ما يلى :

« والهلالان ( ) يدلان على الكلمات التى بينها ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها » .

أى أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول .

*

---

(1) International Bible Students Association , Brooklyn , New York , U . S . A .

وتقول ترجمة العهد الجديد العربية للكاثوليك :

« والذين يشهدون ثلاثة (٧) .

الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون (٨) .

ثم تقول فى الحاشية السفلى تعليقا على العدد (٧) :

« فى بعض الأصول : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء **الثلاثة هم** واحد . لم يرد ذلك فى الأصول اليونانية المعول عليها ، والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن فى بعض النسخ » .

*

وهذا هو ما تقوله أيضًا ترجمة العهد الجديد العربية **للمطبعة** الكاثوليكية ، سواء بالنسبة للمتن أو للحاشية .

*

وتظهر صيغة التثليث هذه فى ترجمة الملك جيمس **الإنجليزية فقط** ، لكنها اختفت من كل من :

الترجمة القياسية الإنجليزية ، والترجمة الفرنسية المسكونية ، **وترجمة** أورشليم الفرنسية ، وترجمة لوى سيجو الفرنسية .

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت بوجه عام من **أغلب التراجم** الحديثة فى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

بينما هى لاتزال فى الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت ، **ولو** أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها .

وتبين الصفحات الثلاث التالية ما طرأ على صيغة التثليث من **محو فى** التراجم : العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية .

*

والسؤال الآن : من المسئول عن مصائر الملايين من المسيحيين الذين هلكوا وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التى تعلموها تقوم على نص صريح فى كتابهم المقدس ، بينهما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول ؟! .

إن الإجابة والمسئولية لتقع أولا وأخيراً على عاتق الذين اؤتمنوا على الكتاب المقدس وكانوا عليه حفاظا ومترجمين [1] .

* * *

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

محو صيغة التثليث
(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧)

الكتاب المقدس (بروتستانت - ١٩٨٣)	الكتاب المقدس للكاثوليك (دار المشرق - ١٩٨٣)	العهد الجديد للكاثوليك (دار المشرق - ١٩٨٥)	العهد الجديد (المطبعة الكاثوليكية -١٩٦٩)
٧ - فإن الذين يشهدون (فى السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد) . ٨ - والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة : الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد .	٧ - لأن الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . ٨ - والشهود فى الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم فى واحد .	[redacted] (١) ٧ - والذين يشهدون ثلاثة : ٨ - الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون .	[redacted] (٢) ٧- والذين يشهدون ثلاثة : ٨ - الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون .
تنبيه الهلالان ( ) يدلان على أن الكلمات التى بينهما ليس لها وجود فى أقدم النسخ وأصحها .		(١) فى بعض الأصول : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . لم يرد ذلك فى الأصول اليونانية المعول عليها ، والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن فى بعض النسخ .	(٢) نفس الحاشية رقم (١) .

Deletion of the Trinity Formula
(I - John 5 : 7)

King James Version	Revised Standard Version	Today's English Version	The Original New Testament
7 -For there are three that bear record in heaven , **the Father, the Word , and the Holy Ghost : and these three are one** . 8 - And there are three that bear witness in earth , the spirit , and the water and the blood ; and these three agree in one . * *	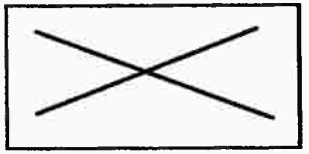 7 - And the Spirit is the witness , because the Spirit is the truth. 8 - There are three witnesses , the spirit , the water and the blood ; and these three agree . * *	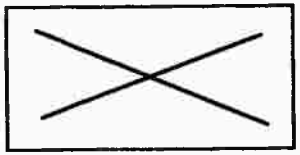 7 - There are three witnesses : 8 - the Spirit , the water and the blood and all three give the same testimony . * *	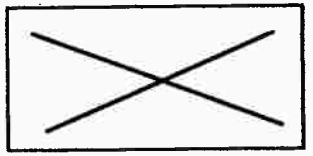 7 - For there are three that give their testimony . 8 - the Spirit , the water and the blood , and the three are in complete accord . * *

Effacement de la Formule de la Trinité
(1 - Jn 5 : 7)

Traduction de Louis Segond 1964	Traduction Oecuménique de la Bible , 1984	La Bible de Jerusalem, 1986
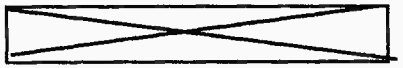	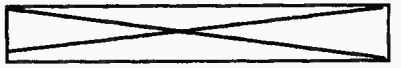	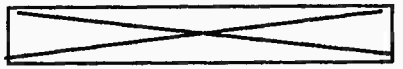
7 - car il y en a trois qui rendent témoignage : 8 - L' Esprit ,l'eau et le sang et les trois sont d'accord (1) . * * (1) Certains manuscrits **tardifs** suivis par certaines traductions portent : Il y en a trois qui rendent témoignage dans le ciel : le Pere , la Parole et L' Esprit Saint . Et ces trois sont un , Et il y en a trois qui rendent témoignage sur la terre: l'Esprit , l'eau et le sang . Et ces trois sont d ' accord . * *	7 - c'est qu'ils sont trois à rendre témoignage . 8 - l'Esprit , l'eau et le sang et ces trois convergent dans l'unique témoignage . * *	7 - IL y en a ainsi trois à témoigner: (2) 8 - l'esprit , l'eau et le sang , et ces trois tendent au même but . * * (2) Le texte des v . v .7 - 8 est surchargé dans la Vulg . par une incise (ci - dessous entre paranthèses) **absente de mss . grecs anciens, des vielles versions et des meilleurs mss, de la vulg .** **et qui semble être une glose marginale introduite plus tard dans le texte** : " Car il y en a trois qui témoignent (dans le ciel : le Pere, le verbe et l' Esprit Saint,et Ces trois sont un : il y en a trois qui témoignent sur terre); L' Esprit, l' eau et le sang , et ces trois sont un " . * *

الملحق رقم (٢)

روايات الصلب

أولا :

يسير مسلسل الأحداث ، خلال الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة ، بصورة عامة حسب روايات الأناجيل – وعلى خلاف بينها – على النحو التالى :

● يسأل التلاميذ معلمهم – المسيح – عن المكان الذى يريد أن يأكل فيه عشاء الفصح . وهو عيد جعل تذكارا لخروج بنى إسرائيل من مصر ، تذبح فيه خراف الفصح مساء نحو غروب الشمس ، ثم يؤكل اللحم مشويا بالنار فى ليلته ولا يبقى منه شىء إلى الصباح . ويوم ذبح الخراف هو بداية أسبوع الفطير .

● يقول لهم المسيح : « اذهبوا إلى المدينة (أورشليم) إلى فلان وقولوا له المعلم يقول أن وقتى قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذى . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح » .

لقد اتفقت الأناجيل الثلاثة : متى ومرقس ولوقا على أن العشاء الأخير الذى حضره المسيح مع تلاميذه كان عشاء الفصح ، لكن إنجيل يوحنا جعله عشاء عاديا يؤكل قبل الفصح بعدة أيام .

● وأثناء العشاء يتنبأ المسيح أن أحد تلاميذه سيخونه . ويسأله التلاميذ عن علامة ذلك التلميذ الخائن ، فيقول المسيح فى بعض الأناجيل : « الذى يغمس يده معى فى الصحفة » ، بينما يقول فى إنجيل آخر : « الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه » .

● لقد كانت خيانة ذلك التلميذ بسبب دخول الشيطان فيه قبل العشاء الأخير ، إذ يقول لوقا : « قرب عيد الفطر .. دخل الشيطان فى يهوذا الذى

يدعى الاسخريوطى » بينـما يقول يوحـنا أنه أثـناء العشاء الأخيـر : « غمس (يسوع) اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى . فبعد اللقمة دخله الشيطان » .

● وبعد أن أكل المسيح الفصح مع تلاميذه « خرجوا إلى جبل الزيتون .. إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى » ، حيث بدأ يصلى لكى ينجو من الخطر الذى شعر به . وقال لتلاميذه : « نفسى حزينة جدا حتى الموت . اسهروا معى .. وكان يصلى قائلا : إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » .

● وهناك والوقت متأخر ليلاً ، جاء يهوذا الخائن ومعه جند وخدام « من عند رؤساء الكهنة بمشاعل ومصابيع وسلاح » . وكان يهوذا « قد أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبِّله هو هو . أمسكوه » . ذلك أنهم لم يكونوا يعرفون المسيح شخصيًا .

● لكن إنجيل يوحنا لا يعرف شيئًا عن القبلة التى كانت علامة للتعرف على المسيح ، ولهذا أعطى صورة مخالفة لعمـلية القبض ، إذ يقول : تقدم إليهم « يسوع وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . فقال لهم يسوع : أنا هو . فلما قال لهم : إنى آنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » !

● وأخيرا تمت عملية قبض بعد عشاء الفصح ، أى مساء الخميس حسب مرقس ومتى ولوقا . أما حسب يوحنا فقد كان القبض مساء الأربعاء قبل يوم الفصح ، إذ جاءوا بالمقبوض عليه صباح اليـوم التالى (الخميس) إلى دار الولاية فهو يقول : « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية . **وكان صبح** . ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكى لا يتنجسوا **فيأكلون الفصح** ١٨ : ٢٨ » .

● ولقد ترتب على هذا الخلاف بين يوحنا من جانب والثلاثة الآخرين من جانب آخر ، أن كانت عملية الصلب التى تمت فى اليوم التالى لعملية القبض ،

قد حدثت يوم الخميس حسب يوحنا ، وهو اليوم الذى يؤكل فيه الفصح مساء ، إذ أنه يقول : « فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع .. **وكان استعداد الفصح** .. فصرخوا : خذه أصلبه .. حينئذ أسلمه إليهم ليصلب ١٩ : ١٣ - ١٦ » .

إن أبسط القضايا فى حياة البشر اليومية حين تعرض على القاضى وقد تضاربت فيها شهادة الشهود ، فإنه يمتنع الحكم إلى أن يحدث تعزيز لأحد الجانبين . فهناك قاعدة أصيلة تقول : **كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال** . فما بالنا والقضية تتعلق بأساسيات عقيدة دينية يتوقف عليها المصائر الأبدية لملايين البشر !

● هذا ، ولقد اتفقت الأناجيل أنه فى ساعة المحنة التى حلت بالمسيح وأصابه فيها ما أصابه من فزع واضطراب ، فقد « **تركه التلاميذ كلهم وهربوا** » !

[انظر بيان : **العشاء الأخير وعملية القبض**] .

*

العشاء الأخير وعملية القبض

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١	توقيت العشاء الأخير	عشاء الفصح ١٤ : ١٢	عشاء الفصح ٢٦ : ١٧	عشاء الفصح ٢٢ : ٧	عشاء عادى قبل الفصح ١٣ : ١
٢	دور التلاميذ فى إعداد العشاء	أرسل اثنين منهم ١٤ : ١٣	أرسل التلاميذ جميعا ٢٦ : ١٨-١٩	أرسل اثنين منهم (بطرس ويوحنا) ٢٢ : ٨ ، ١٣	..... (١)
٣	علامة التلميذ الخائن	الذى يغمس مع المسيح فى الصحفة ١٤ : ٢٠	الذى يغمس مع المسيح فى الصحفة ٢٦ : ٢٣	الذى يده مع المسيح على المائدة ٢٢ : ٢١	الذى غمس المسيح اللقمة وأعطاه إياها ١٣ : ٢٦
٤	متى دَخَل الشيْطَان فى يهُوذا الخائن	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ١٤ : ١٠-١٢	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ٢٦ : ١٤-١٧	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ٢٢ : ٣-٧	أثناء العشاء الأخير بعد أن أعطاه المسيح اللقمة ١٣ : ٢٧
٥	كَيْفَ تعرفَ الجنْد عَلى المسيح	بعد قبلة يهوذا ١٤ : ٤٥-٤٦	بعد قبلة يهوذا ٢٦ : ٤٩-٥٠	بعد أن دنا يهوذا من المسيح ليقبله ٢٢ : ٤٧	قدم المسيح نفسه متحديًا ، بلا قبلة ١٨ : ٤ - ٨
٦	توقيت القبض	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ١٤ : ٤٣	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٦ : ٤٧	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٢ : ٤٧	قبل عشاء الفصح (مساء الأربعاء) ١٨ : ٢٨
٧	سُلوك التلاميذ عند القبض	تركه الجميع وهربوا ١٤ : ٥٠	تركه التلاميذ كلهم وهربوا ٢٦ : ٥٦	.....	.....

(١) هذه النقاط الست (.....) تحت أى إنجيل فى أى من الجداول تعنى أن هذا الإنجيل لم يذكر شيئًا محددًا يتعلق بنقطة البحث .

ثانيا :

● يبدأ التمهيد لعملية الصلب بعدد من المحاكمات ، اختلفت فيها الأناجيل . فقد ذكر مرقس ومتى ويوحنا أنه حدثت محاكمة بعد القبض مباشرة عند منتصف ليلة عيد الفصح . لكن لوقا لا يعرف شيئا عن تلك المحاكمة الليلية ، ويستبدلها بمحاكمة نهارية صباح الجمعة .

● كما أن لوقا انفرد – دون بقية الأناجيل – بذكر محاكمة حدثت أمام هيرودس حاكم الجليل . ولهذا ذكر ثلاث محاكمات وخمس رحلات جعلها كلها تحدث نهار الجمعة خلال فترة نحو خمس ساعات وفى أماكن متفرقة .

● ثم كان يوم الصلب – يوم آخر محاكمة ، إذ اقتيد بعدها المقبوض عليه إلى موضع الصلب – يوم الجمعة حسب مرقس ومتى ولوقا . أما يوحنا فقد جعله يوم الخميس وهو اليوم الذى تذبح فيه خراف الفصح .

[انظر بيانات : **المحاكمات ، وعدد المحاكمات ، ويوم الصلب ، والتحركات منذ القبض حتى الصلب**] .

*

المحاكـــمات

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٨	المحاكمة الأولى : – التوقيت هيئة المحكمة	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح) رئيس الكهنة والمجمع ١٤ : ٥٣–٥٥	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح) رئيس الكهنة والمجمع ٢٦ : ٥٧ – ٥٩	نهاراً فى اليوم التالى للقبض (الجمعة) رئيس الكهنة والمجمع ٢٢ : ١٣	ليلاً بعد القبض مباشرة (الليلة السابقة لليلة عيد الفصح) حنان حموقيافا ثم قيافا رئيس الكهنة ١٨ : ١٢ – ١٣
٩	المحاكمة الثانية : – التوقيت – هيئة المحكمة	صباح اليوم التالى (الجمعة) بيلاطس الوالى ١٥ : ١	صباح اليوم التالى (الجمعة) بيلاطس الوالى ٢٧ : ١	صباح اليوم التالى (الجمعة) بيلاطس الوالى ٢٣ : ١	صباح اليوم التالى (الخميس) بيلاطس الوالى ١٨ : ٢٨ – ٣٣
١٠	المحاكمة الثالثة : – التوقيت – هيئة المحكمة	.....	.....	صباح اليوم التالى (الجمعة) هيرودس حاكم الجليل ٢٣ : ٧–١٠	.....

عدد المحاكمات

مسلسل عام	الوقت	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١١	ليلا بعد القبض مباشرة	١	١	...	١
١٢	نهار اليوم التالى للقبض	١	١	٣	١
١٣	المجموع الكلى	٢	٢	٣	٢

*

يوم الصلب

مسلسل عام	نقطة البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٤	يوم آخر محاكمة (هو يوم الصلب)	الجمعة ١٥ : ١٥ ، ٢٠	الجمعة ٢٧ : ٢٦ ، ٣١	الجمعة ٢٣ : ٢٤ ، ٣٣	الخميس يوم تذبح خراف الفصح « وكان استعداد الفصح » ١٩ : ١٤ – ١٨

التحركات منذ القبض حتى الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٥	الرحلة الأولى	مساء الخميس « إلى رئيس الكهنة » ١٤ : ٥٣	مساء الخميس « إلى قيافا رئيس الكهنة » ٢٦ : ٥٧	مساء الخميس « إلى بيت رئيس الكهنة » ٢٢ : ٥٤	مساء الأربعاء « إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا رئيس الكهنة » ١٨ : ١٣
١٦	الرحلة الثانية	صباح الجمعة « إلى بيلاطس » ١٥ : ١	صباح الجمعة « إلى بيلاطس » ٢٧ : ١	صباح الجمعة « إلى بيلاطس » ٢٢ : ٦٦ ، ٢٣ : ١	مساء الأربعاء « إلى دار رئيس الكهنة » ١٨ : ١٥ ، ١٨
١٧	الرحلة الثالثة	نهار الجمعة « إلى موضع جلجثة » مكان الصلب ١٥ : ٢٢	نهار الجمعة « إلى موضع يقال له جلجثة » ٢٧ : ٣٣	نهار الجمعة « إلى هيرودس فى أورشليم » ٢٣ : ٧	صباح الخميس « إلى دار الولاية (إلى بيلاطس) وكان صبح » ١٨ : ٢٨ – ٢٩
١٨	الرحلة الرابعة	.....	.....	نهار الجمعة « رده (هيرودس) إلى بيلاطس » ٢٣ : ١١	نهار الخميس « مضوا به إلى موضع جلجثة » ١٩ : ١٦ – ١٧
١٩	الرحلة الخامسة	.....	.....	نهار الجمعة « مضوا إلى الموضع الذى يدعى جمجمة » ٢٣ : ٣٣	.....
٢٠	عدد الرحلات	٣	٣	٥	٤

ثالثا :

● وإذا تتبعنا أحداث الصلب التى أعقبت المحاكمات ، نجدها تبدأ باستهزاء العسكر بالمقبوض عليه وضربه ووضع إكليل من الشوك فوق رأسه .

وكان هؤلاء جنود بيلاطس ، حسب مرقس ومتى ويوحنا . أما حسب لوقا فقد كانوا جنود هيرودس .

● ثم كان سمعان القيروانى هو حامل الصليب ، حسب مرقس ومتى ولوقا ، بينما قال يوحنا أن المقبوض عليه « خرج وهو حامل صليبه » .

● وقد اختلفت الأناجيل فى علة المصلوب التى قيل إن العرف جرى على كتابتها على الصليب . فكانت « ملك اليهود » حسب مرقس ، بينما جعلها يوحنا : « يسوع الناصرى ملك اليهود » وبلغات ثلاث هى : العبرانية واليونانية واللاتينية ، وإن الذى كتب ذلك كان هو الحاكم الرومانى بيلاطس !

● وقد صلب معه لصان كانا يعيرانه ، حسب مرقس ومتى . أما حسب لوقا فقد كان أحدهما يعيره بينما كان الآخر يواسيه ويدافع عنه .

● ثم كانت صرخة اليأس على الصليب عتابا يائسا بين المصلوب وربه ، إذ قال : « إلٰهى ! إلٰهى ! لماذا تركتنى ؟! » حسب مرقس ومتى . أما لوقا فقد استبدلها بقوله : « فى يديك استودع روحى » .

● وكانت الساعة الثالثة هى وقت الصلب ، حسب مرقس ، أما حسب يوحنا فكانت نحو السادسة .

● ولقد كان شهود الصلب « نساء ينظرن من بعيد » .

[انظر بيان : أحداث الصلب] .

*

أحداث الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢١	استهزاء العسكر قبل الصلب (إكليل الشوك – الضرب – البصق)	« جنود بيلاطس » ١٥ : ١٦ – ٢٠	« جنود بيلاطس » ٢٧ : ٢٧ – ٣١	« جنود هيرودس » ٢٣ : ١١	« جنود بيلاطس » ١٩ : ١ – ٥
٢٢	حامل الصليب	سمعان القيروانى ١٥ : ٢١	سمعان القيروانى ٢٧ : ٣٢	سمعان القيروانى ٢٣ : ٢٦	المصلوب نفسه ١٩ : ١٧
٢٣	شراب المصلوب قبل صَرخة اليأس	خمراً ممزوجة بمر فلم يقبل ١٥ : ٢٣	خلاً ممزوجًا بمرارة ولما ذاق لم يشرب ٢٧ : ٣٤	.....	.....
٢٤	علة المصلوب	« ملك اليهود » ١٥ : ٢٦	« هذا هو يسوع ملك اليهود » ٢٧ : ٣٧	اليهود [يونانية – رومانية – عبرانية] ٢٣ : ٣٨	« ملك اليهود » [عبرانية – يونانية – لاتينية] ١٩ : ١٩ – ٢٠
٢٥	اللصان والمصلوب	« كانا يعيرانه » ١٥ : ٣٢	« كانا يعيرانه » ٢٧ : ٤٤	كان أحدهما يعيره والآخر يدافع عنه ٢٣ : ٣٩ – ٤٠	.....

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٦	وقت الصلب	الساعة الثالثة ١٥ : ٢٥	.....	قبل الساعة السادسة ٢٣ : ٣٣ – ٤٤	الساعة السادسة ١٩ : ١٤ – ١٦
٢٧	صرخة اليأس على الصليب	« إلهى ، إلهى لماذا تركتنى » ١٥ : ٣٤	« إلهى ، إلهى لماذا تركتنى » ٢٧ : ٤٦	« يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون » ٢٣ : ٣٤	
٢٨	شهود الصلب	« نساء ينظرن من بعيد » ١٥ : ٤٠	« نساء كثيرات ينظرن من بعيد » ٢٧ : ٥٥	« جميع معارفه ونساء واقفين من بعيد ينظرن » ٢٣ : ٤٩	أمه وأخت أمه ومريم المجدلية واقفات عند الصليب (عن قرب) ١٩ : ٢٥

الملحق رقم (٣)

روايات القيامة

تقول الأناجيل أن المسيح ، بعد أن مات على الصليب يوم الجمعة حسب مرقس ومتى ولوقا ، أو يوم الخميس حسب يوحنا ، فقد أنزل من على الصليب ووضع جسده فى قبر مساء يوم الصلب . وفى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد اكتشفت بعض النسوة من معارف المسيح خلو ذلك القبر من أى جسد .

لقد كانت تلك نواة بدأت تتكون حولها روايات تقول أن المسيح قام من الأموات ، ثم ما لبثت هذه أن تداخلت معها روايات أخرى تقول أنه بعد قيامته ظهر لعدة أشخاص ، كانت أولاهن – بالطبع – تلك التي بدأت حديث القيامة ، ألا وهى مريم المجدلية « التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين – مرقس ١٦ : ٩ » وتبدأ رواية القيامة بقول إنجيل مرقس : « بعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومه حنوطا ليأتين ويدهنه . وباكر جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فى أنفسهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا .

ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن : فقال أنتن تطلبن يسوع الناصرى . قد قام » وهكذا بدأت فكرة القيامة من الأموات .

ورغم أن حادثة زيارة النساء للقبر لم تستغرق وقتا طويلاً يسمح بتعدد رواياتها ، إلا أن الأناجيل الأربعة اختلفت فيها ، ولم تتفق إلا على كون مريم المجدلية هى قائدة رحلة الزيارة وما نتج عنها من فكرة القيامة التى صارت فيما بعد إحدى ركائز العقيدة المسيحية التى أنشأها بولس .

فلقد اختلفوا فى عدد الزائرات ، ووقـــت الزيارة ، ومن كان موجودا بالمقبرة ، وما يتعلق بالرسالة التى كلفن بإبلاغها .

[انظر بيان : **روايات القيامة**] .

*

روايات القيامة

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٩	زوار المقبرة	« مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة » ١٦ : ١	« مريم المجدلية ومريم أخرى » ٢٨ : ١	« مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات » ٢٤ : ١٠	« مريم المجدلية » ٢٠ : ١
٣٠	وقت الزيارة	بعد طلوع الشمس ١٦ : ٢	عند الفجر ٢٨ : ١	أول الفجر ٢٤ : ١	« باكراً والظلام باق » ٢٠ : ١
٣١	ماذا رأت الزائرات فى المقبرة	« شابا جالساً على اليمين لابساً حلة بيضاء » ١٦ : ٥	« ملاك الرب دحرج الحجر عن الباب وجلس عليه » ٢٨ : ٢	« رجلان بثياب براقة » ٢٤ : ٤	« ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين » ٢٠ : ١٢
٣٢	الرسالة التى كلفت بها الزائرات	« قلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل » ١٦ : ٧	« قولا لتلاميذه أنه قام من الأموات ها هو يسبقكم إلى الجليل » ٢٨ : ٧	«اذكرن كيف كلمكن وهو بعد الجليل » ٢٤ : ٦	.....
٣٣	مَاذَا فعَلت الزائرات بالرسالة	« لم يقلن لأحد لأنهن كن خائفات » ١٦ : ٨	« خرجتا سريعا لتخبرا تلاميذه » ٢٨ : ٨	« أخبرن الأحد عشر وجميع الباقين » ٢٤ : ٩	.....

الملحق رقم (٤)

روايات الظهور

● تذكر أناجيل مرقس ومتى ويوحنا أن المسيح بعد أن قام من الأموات ، ظهر أولا لمريم المجدلية التى لم تعرفه وظنته البستانى ! ولما أخبرت مريم الآخرين لم يصدقوا .

أما لوقا فقد أسقط هذه الرواية ، وجعل الظهور الأول من نصيب اثنين من تلاميذه ، واللذين لم يعرفانه ! .

● حدث الظهور للتلاميذ معا مرة واحدة حسب مرقس ومتى ولوقا . أما يوحنا فقد جعله يحدث ثلاث مرات .

● اتفق مرقس ومتى على أن الظـــهور للأحد عشر تلميذاً حدث فى الجليل ، فاختلفا فى ذلك مع لوقا ويوحنا اللذين جعلاه يحدث فى أورشليم .

● اتفقت روايات الأناجيل على شك التلاميذ جميعا فى روايات الظهور .

[انظر بيان : **روايات الظهور**] .

*

روايَات الظهُور

مسلسل عام	نقَاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٣٤	الظهور الأول – الشهود – رد الفعل	« مريم المجدلية » أخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا ١٦ : ٩ – ١١	« مريم المجدلية ومريم الأخرى » ٢٨ : ١ ، ٩	« اثنان منهم » لم يعرفاه ٢٤ : ١٣ ، ١٦	« مريم المجدلية لم تعلم أنه يسوع فظنت أنه البستانى » ٢٠ : ١٤ – ١٥
٣٥	الظهور الثاني – الشهود – رد الفعل	« اثنين منهم » « أخبرا الباقين فلم يصدقوا » ١٦ : ١٢ – ١٣	فى الجليل « الأحد عشر تلميذاً » « بعضهم شكوا » ٢٨ : ١٦ – ١٧	سمعان . . . . . . ٢٤ : ٣٤	فى أورشليم التلاميذ عدا توما (مساء الأحد) توما لم يصدق ٢٠ : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥
٣٦	الظهور الثالث – الشهود – رد الفعل	فى الجليل الأحد عشر وبّخ عدم إيمانهم ١٦ : ١٤		(فى أورشليم) التلاميذ « ظنوا أنهم نظروا روحًا » ٢٤ : ٣٦ – ٣٧	(فى أورشليم) التلاميذ ومعهم توما (بعد ثمانية أيام) ٢٠ : ٦
٣٧	الظهور الرابع – الشهود – رد الفعل	. . . . .	. . . . .	. . . . .	التلاميذ (على بحيرة طبريا)« لم يكونوا يعلمون أنه يسوع » ٢١ : ١ ، ٤
٣٨	ملاحظة : إنجيل مرقس الأصلى لم يذكر شيئًا عن روايات الظهور إذ أنه ينتهى عند١٦ : ٨ وما ذكر بعد ذلك « الأعداد من ٩ إلى ٢٠ » إنما هى إضافة ألحقت به نحو عام ١٨٠ ميلادية .				

شك التلاميذ فى روايات القيامة والظهور

تمتلىء روايات الأناجيل عن القيامة والظهور بالكثير من المآخذ والثغرات التى يستطيع القارىء تلمسها بمجرد المطالعة ومقارنة المواقف المتشابهة فى الأناجيل المختلفة .

وتكفى هذه المآخذ والثغرات لرفض ما تقوله تلك الروايات عن قيامة المسيح وظهوره . وكيف لا ترفض وقد رفضها كاتب إنجيل مرقس الأصلى فأسقطها من حسابه وأنهى الإنجيل عند ١٦ : ٨ ، كذلك رفضها تلاميذ المسيح وشكوا فيها ذلك الشك المريب الذى سجلته الأناجيل .

لقد شك التلاميذ جميعا فيما روته مريم المجدلية ومن معها من النسوة عن قيامة المسيح من الأموات فحين « رجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل .

فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقون .

فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها **فمضى متعجباً فى نفسه مما كان** – لوقا ٢٤ : ٩ – ١٢ » .

هكذا كان موقف تلاميذ المسيح من روايات القيامة ، وهم الذين التصقوا به منذ اختارهم حتى رحل عنهم ، وكان على رأسهم بطرس ، وفيهم يوحنا ، وهم الذين تلقوا تعاليمه ووعـــوها قبل أن تظهر بينـــهم مريم المجدلية ومن بعد ما ظهرت .

إن أناجيل مرقس ومتى ولوقا تذكر لنا حديثا جرى بين المسيح وتلاميذه تنبأ فيه بقتله ثم قيامته من الأموات .. فهى تقول :

« ابتدأ **يعلمهم** أن ابن الإنسان (المسيح) ينبغى أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل **وبعد ثلاثة أيام يقوم** .

وقال القول علانية .

فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا : اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن للناس – مرقس ٨ : ٣١ – ٣٣ ، متى ١٦ : ٢١ – ٢٣ ، لوقا ٩ : ٢٢ » .

إن رواية الحوار بين المسيح وتلاميذه على هذه الصورة تعنى أن القيامة من الأموات أصبحت أمرا مفروغا منه ، مثلها كمثل القتل ، ذلك أن الأناجيل تذكر أن المسيح « قال القول علانية » .

ولما راجعه فيه بطرس أمام التلاميذ ما كان من المسيح إلا أن أغلظ له القول ولقبه بالشيطان .

فإذا وجدنا بعد ذلك أن روايات القيامة التى جاءت بها مريم المجدلية كانت بالنسبة لبطرس ورفاقه كلاماً « **كالهذيان** » لا يمكن تصديقه ، فإن النتيجة التى لا مفر من التسليم بها هى :

إن ذلك الحوار الذى قيل إنه جرى بين المسيح وتلاميذه والذى تنبأ فيه بقتله ثم قيامته لم يحدث على الإطلاق ، وأن ما نجده عن ذلك الحوار فى الأناجيل لا يعدو أن يكون إضافات أدخلت إليها فيما بعد .

إن هذا ما ينطق به إنجيل يوحنا حين يقرر أن فكرة القيامة كانت غريبة تماما بالنسبة للتلاميذ الذين فوجئوا برواية مريم المجدلية . فحين ذهبت هذه وأخبرت بطرس ويوحنا فإنهما تسابقا إلى القبر « فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن . **لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات .**

فمضى التلميذان (بطرس ويوحنا) أيضا إلى موضعهما – يوحنا ٢٠ : ٨ – ١٠ » .

على أن الشيء الذى اتفقت عليه الأناجيل - بجانب اتفاقها على شك التلاميذ فى روايات القيامة هو اتفاقها على خلو ذلك القبر - الذى قيل إن جسد المسيح قد دفن فيه - من أى جسد .

كذلك شك التلاميذ فيما روته مريم المجدلية وغيرها عن ظهور المسيح .

يقول إنجيل مرقس فى خاتمته التى أضيفت إلى ما سطره مرقس فيما بعد ، أنه عندما ذهبت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أن المسيح قد ظهر لها « **فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا** » .

وكذلك كان الحال مع الاثنين اللذين قيل إنه ظهر لهما ، إذ لما « **ذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين** » .

لقد شك التلاميذ حتى آخر لحظة فى روايات الظهور ، وهو الأمر الذى جعل كتبة الأناجيل يقولون ما قالوا عن ظهور المسيح لتلاميذه الأحد عشر مصحوبا بتوبيخهم لعدم إيمانهم « لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » .

أما رواية متى التى تتكلم عن ظهور المسيح لتلاميذه فإنها تسجل شكهم فى أن يكون ذلك الذى ظهر لهم هو المسيح الذى عرفوه جيداً وصاحبوه زماناً لم يفارقوه فيه البتة - فهى تقول : « أما الأحد عشر تلميذاً .. لما رأوه سجدوا له ولكن **بعضهم شكوا** » .

وكذلك يقول لوقا أن المسيح حين ظهر لتلاميذه فإنهم « **جزعوا وخافوا وظنوا إنهم نظروا روحاً** .

فقال لهم ما بالكم مضطربين .. **وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون** قال لهم أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئاً من شهد عسل » .

ويسجل يوحنا شك أحد التلاميذ - ويدعى توما - بصورة تقطع بأن فكرة القيامة لا علاقة لها البتة برسالة المسيح وتعاليمه ، وإنما هى شيء دخيل ألصق بها فيما بعد .

« أما توما أحد الاثنى عشر الذى يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع : فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب ·

فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن » ·

أن كل قول لم يبصر فى مسيحية المسيح الحقة الفاضلة سوى الصلب والقيامة ، قد قادها إلى مغامرة خطرة وجعلها تحت رحمة التاريخ · وإذا رجعنا إلى ما يسعفنا به التاريخ فى روايات القيامة والظهور لوجدناه فى غير صالح ذلك المفهوم الذى لم ير بولس شيئًا غيره فى مسيحية المسيح ·

يقول أدولف هرنك أن هناك عدداً من النقاط مؤكدة تاريخيًا منها « أن أحداً من خصوم المسيح لم يره بعد موته - وأنه لا يمكن التحقق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها - وأن القبر الذى كان خاليًا فى اليوم الثالث لا يمكن اعتباره حقيقة مؤكدة تاريخيًا بأى حال من الأحوال » (١) .

* *

(1) Adolf Harnack : HISTORY OF DOGMA , London , 1961 , Vol , I , P . 85 .

الملحق رقم (٥)

روايات هلاك يهوذا الخائن

اختلف متى مع لوقا الذى كتب سفر أعمال الرسل فى روايتيهما عن هلاك يهوذا الاسخريوطى الخائن . فقد ذكر متى أن يهوذا ندم لخيانة معلمه ، فرد « الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة ثم مضى وخنق نفسه . فقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء . لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم » .

أما لوقا فيذكر فى سفر أعمال الرسل رواية عن بطرس أن يهوذا « اقتنى حقلا من أجرة الظلم ، وإذا سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، حتى دعى ذلك الحقل حقل دم » .

أما مرقس ويوحنا فلم يعرفا شيئا عن نهاية يهوذا ، ولذا سكتا عنها .

وإذا قرأنا ملخصا لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل – حسبما جاء فى الملحق التالى رقم (٦) – لوجدناها تشير إلى هلاك يهوذا بنفس « آلة الموت » التى ساهم فى تجهيزها لمعلمه ، إلا وهى الصليب الذى كان وسيلة الإعدام الرئيسية عند الرومان .

*

روايات هلاك يهوذا الخائن

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	أعمال الرسل (كتبه لوقا)	يوحنا
٣٩	كيف مات	.....	انتحر إذ أنه « مضى وخنق نفسه » ٥ : ٢٧	مات ميتة دموية إذ « سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها » ١ : ١٨	.....
٤٠	من اشترى الحقل بثمن الخيانة الذى أخذ من الكهنة ؟	.....	« الكهنة اشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء » ٧ : ٢٧	يهوذا هو الذى « اقتنى حقلا من أجرة الظلم » ١ : ١٨	
٤١	لماذا سمى الحقل حقل دم ؟	.....	لأن نقوده كانت « ثمن دم » برىء ٨ – ٤ : ٢٧	بسبب الميتة الدموية التى ماتها « دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما أى حقل دم » ١ : ١٨ – ١٩	.....

الملحق رقم (٦)

ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل

إن جميع تنبؤات المزامير التى تختص بالمسيح يجب أن تكون متكاملة ، لا ينقض أحدها الآخر ، إنما يزداد الأمر بجمعها معا إيضاحا ويقينا .

والخلاصة أن تنبؤات المزامير بالأحداث التى يتعرض لها المسيح تشتمل على سبعة عناصر ، نذكرها بما يشهد لها من تلك المزامير .

١ - يتآمر الرؤساء (الكهنوت اليهودى) على المسيح لقتله والتخلص منه :

« قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما ،ولنطرح عنا ربطهما - ٢ : ٢ - ٣ » .

« الخوف مستدير بى بمؤامرتهم معا علىَّ . تفكروا فى أخذ نفسى ٣١ : ١٣ » .

٢ - ويستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن :

« رجل سلامتى الـذى وثقـت به ، آكل خبـزى رفع علىَّ عَقِبه - ٤١ : ٩ » .

« ليس عدو يعيِّرنى فاحتمل . ليس مبغضى تعظم علىَّ فأختبىء منه .

بل أنت إنسان عديلى . إلفى وصديقى . **الذى معه كانت تحلو لنا العشرة .** إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور – ٥٥ : ١٢ – ١٤ » .

« الشرير يتفكر ضد الصدِّيق ويُحرِّق عليه أسنانه .. الشرير يراقب الصدِّيق محاولا أن يميته – ٣٧ : ١٢ ، ٣٢ » .

٣ – وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفزع ويرتاع وتقرب به المحنة من حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل :

« خوف ورعدة أتيا على ، وغشينى رعب . فقلت ليت لى جناحا كالحمامة فأطير واستريح – ٥٥ : ٥ – ٦ » .

« عظامي قد رجفت ونفسى قد ارتاعت جدا .

وأنت يارب فحتى متى . نج نفسى . خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمدك – ٦ : ٥٢ » .

« ارحمنى يا رب . انظر مذلتى من مبغضى ، يا رافعى من أبواب الموت – ٩ : ١٣ » .

« انظر واستجب لى يارب إلٰهى . أنر عينى لئلا أنام نوم الموت١٣ : ٣ » .

« بذبيحة وتقدِمة لم تُسر .. مُحرقة وذبيحة خطية لم تطلب – ٤٠ : ٦ » .

« ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمدك التراب هل . يخبر بحقك . استمع يارب وارحمنى . يا رب كن معيناً لى – ٣٠ : ٩ – ١٠ » .

« استمع يارب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى ..

لا تسلمنى إلى مرام مضايقىَّ – ٢٧ : ٧ ، ١٢ » .

« أقض لى حسب عدلك ، يا رب إلٰهى فلا يشمتوا بى . لا يقولوا فى قلوبهم هه شهوتنا . لا يقولوا قد ابتلعناه – ٣٥ : ٢٤ – ٢٥ » .

٤ - ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك :

« ليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنبًا . وصلاته فلتكن خطية .

لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر .

ليكن بنوه أيتاما وإمرأته أرملة . .

لتنقرض ذريته فى الجيل القادم ليمح اسمهم .

من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانًا مسكينًا وفقيرًا ، والمنسحق القلب **ليميته** - ١٠٩ : ٦ - ١٦ » .

« قم يارب . تقدَّمه . أصـرعه . نج نفسى من الشرير بسيفك - ١٧ : ١٣ » .

٥ - ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ الله عليه حياته :

« فى يوم الشر **ينجيه** الرب .

الرب يحفظه ويُحْييه . يغـتبط فى الأرض ولا يُسلِّمه إلى مَرَام أعدائه - ٤١ : ١ - ٢ » .

« الرب أبطل مؤامرة الأمم . لاشى **أفكار** الشعوب . أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت - ٣٣ : ١٠ - ١١ » .

« عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك . لأنك أقمت حقى ودعواى . جلسـت على الكرسى قاضـيا عادلا . انتهرت الأمم - ٩ : ٣ - ٥ » .

« حينئذ ترتد أعدائى إلى الوراء فى يوم أدعوك فيه . هذا قد علمته لأن الله لى . . شكر لك ، لأنك قد نجيت نفسى من الموت - ٥٦ : ١٣ » .

« الآن عرفت أن الرب مُخلِّصُ مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه - ٢٠ : ٦ » .

« تصيب يدك جميع أعدائك . . لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها - ٢١ : ٨ ، ١١ » .

« من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرب ٠٠ وأنا سأرى بأعدائى ٠٠ لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب ٠٠ إلى الموت لم يسلمنى – ١١٨ : ٥ – ١٨ » ٠

« حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد – ٢١ : ٤ » ٠

٦ – كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتنقلب عليه مؤامرته ويتجرع ذات الكأس التى شارك فى تجهيزها لمعلمه :

« سدد نحوه آلة الموت ٠

هو ذا يمخض بالإثم ٠٠ كَرَاجُبًّا ٠ حفره فسقط فى الهوة التى صنع ٠

يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه – ٧ : ١٣ – ١٦ » ٠

هيأوا شبكة لخطواتى ٠٠ حفـروا قدامى حفـرة ٠ سقطوا فى وسطها – ٥٧ : ٦ » ٠

« الرب قضاء أمضى ٠ الشرير يعلق بعمل يديه – ٩ : ١٦ » ٠

« سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر – ٣٧ : ١٥ » ٠

٧ – وتكون وسيلة نجاة المسيح من القتل أمرا عجبا ، إذا يرفعه الله إلى السماء فلا يمسسه السوء :

« يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك ٠ على الأيدى يحملونك لأنه تعلقَّ بى أنجيه ٠ أرفعه لأنه عرف اسمى – ٩١ : ١١ – ١٤ » ٠

« أصرخ إلى الله العلى ، إلى الله المحامى عنى ٠ يرسل من السماء ويخلصنى – ٥٧ : ٢ – ٣ » ٠

« يخبئنى فى مظلته فى يوم الشر ٠ يسترنى بستر خيمته ٠ على صخرة يرفعنى – ٢٧ : ٥ » ٠

« لم تحبسنى فى يد العدو ، بل أقمت فى الرحب رجلى ٠٠ مبارك الرب لأنه قد جعل عجبًا ، رحمته لى فى مدينة محصنة – ٣١ : ٨ ، ٢١ » ٠

هذا – وإذا جمعنا تلك العناصر السبعة التى تشتمل عليها تنبؤات المزامير وقرأناها بتسلسلها لكانت كالآتى :

يتآمر الكهنوت اليهودى على المسيح لقتله والتخلص منه ، ويستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن .

وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفزع ويرتاع وتقرب به المحنة من حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل ، ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك .

ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ عليه حياته ، كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتنقلب عليه مؤامرته ويتجرع ذات الكأس التى شارك فى تجهيزها لمعلمه .

وتكون الوسيلة التى نجا بها المسيح من القتل أمرا عجبا ، إذا يرفعه الله إلى السماء فلا يمسه السوء .

تلك هى الحقيقة من المزامير وهى الحقيقة التى يجدها كل من يقرأ المزامير ، واضحة كل الوضوح لا لبس فيها ولا غموض .

حقًا نقول : لقد تنبأت المزامير بنجاة المسيح من القتل والصلب .

وتنبأت المزامير بهلاك يهوذا .

هلاكا وسيلته « آلة الموت » أو بالأحرى خشبة الصليب ، لأنه بسببها يلبس اللعنة والعار والخزى والبوار .

* *

الملحق رقم (٧)

المسيح فى الأناجيل
١ - نسب المسيح

يقول إنجيل متى فى ولادة المسيح : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (جنسيا) وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارا لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . وفيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ امرأتك مريم لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .

فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها(يعاشرها معاشرة الأزواج)حتى ولدت ابنها البكر -١ :١٨ - ٢٥ » .

ويقول جورج كيرد فى تفسيره لإنجيل لوقا ، فيما يتعلق باعتبار يوسف أبا للمسيح : « إن يوسف يشار إليه دائما باعتباره أبا ليسوع . وعن طريق يوسف انحدر يسوع من نسل داود .

لقد تعود اليهود على فكرة الأبوة الشرعية ، إذ أن التشريع العجيب (المذكور فى سفر التثنية ٢٥ : ٥ - ٦) والذى يُجبر أخا المتوفى من غير ذرية على الزواج من أرملة أخيه ، كان يقضى بأن يرد النسب الشرعى للطفل (المولود نتيجة لهذا الزواج) إلى زوج أمه الأول (المتوفى) ، بدلا من نسبته إلى أبيه الحقيقى (وهو زوجها الثانى) »[1] .

---

(1) Caird : Saint Luke P . P . 30 - 31 .

فلقد كانت مريم تقول لابنها أن يوسف أبوه ، حسب فكرة الأبوة الشرعية . فقد ذكر لوقا فى إنجيله حادثة فقد المسيح فى زحمة العيد وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة فقال : « كان أبواه (يوسف ومريم) يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد . وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما .. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل .. وقالت له أمه . يا بنى ! لماذا فعلت بنا هكذا ؟! هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين – ٢ : ٤١ – ٤٨ » .

لقد جاء الحديث عن نسب المسيح – باعتباره ابنا ليوسف النجار – فى إنجيلين : متى ولوقا . وبمقارنة ما ذكره متى فى الإصحاح الأول وما ذكره لوقا فى الإصحاح الثالث يلاحظ على الفور اختلافهما كالآتى :

١ – ظن متى أن المسيح جاء من نسل سليمان بن داود فقال : « داود الملك ولد **سليمان** .. وسليمان ولد **رحبعام** .. .. **ويعقوب** ولد **يوسف** رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح – ١ : ٦ – ١٦ » بينما ظن لوقا أن المسيح جاء من نسل ابن آخر لداود يدعى ناثان ، إذ قال :

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة . **وهو على ماكان يُظن** ابن **يوسف بن هالى بن** متثات .. ... بن **ناثان** بن داود – ٣ : ٢٣ – ٣١ . لقد كان لداود أبناء كثيرون من زوجاته الكثيرات تذكر لنا منهم الأسفار : « بكره **أمنون** من أخينوعم .. وثانية **كيلاب** من أبيجايل .. والثالث **أبشالوم** .. والرابع **أدونيا** .. والخامس **شفطيا** .. والسادس **يثرعام** من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا فى حبرون – صموئيل الثانى ٣ : ٢ – ٥ » .

« وهؤلاء ولدوا له فى أورشليم :شمعى،وشوباب،**وناثان** ، **وسليمان** ... ويجار ،واليشامع ، واليفاط ، ونوجه ، ونافج ، ويافيع ، واليشمع ، واليداع ، واليفلط ، أخبار الأيام الأول ٣ : ١ – ٨ » .

٢ – ولقد ترتب على اختلاف متى ولوقا فى ابن داود الذى انحدر منه يوسف النجار ، أن اختلفت سلسلة النسب عند كل منهما . فعلى حسب متى كان **يوسف بن يعقوب** ، وعلى حسب لوقا كان **يوسف بن هالى** .

٣ – اختلف مجموع الأجيال من داود إلى يوسف ، فعلى حسب متى كان ٢٧ جيلا ، بينما حسب لوقا كان ٤٢ جيلا – هذا بالإضافة إلى اختلاف متى مع ما جاء فى سفر أخبار الأيام الأول (الإصحاح الثالث) فيما يتعلق بتسلسل ذرية سليمان .

*

وإذا نظرنا فى سلسلة النسب التى ذكرها متى ، نجد أنها تضم عددا من الزناة وأبناء الزنا ، بل ومومسا مشهورة جاء ذكرها فى سفر يشوع ، ويبين الجدول السابق أسماء هؤلاء الخطاة ، والذين يمكن قراءة قصصهم فى أسفار العهد القديم كالآتى :

يهوذا وفارص وثامار : جاء فارض من زنى يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه المتوفى والتى تدعى ثامار حسبما جاء فى سفر التكوين ٣٨ : ١٣ – ٢٩ .

راحاب الزانية : سفر يشوع ٢ : ١ ، ٦ : ١٧ .

راعوث الموآبية : جاء موآب من زنى لوط (المزعوم) بابنته البكر حسب سفر التكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨ ، وراعوث موآبية حسب سفر راعوث ١ : ١ – ٤ ، ٤ : ١٣ – ٢٢ وتحرم توراة موسى دخول الموآبيين وأبناء الزنا فى جماعة الرب (المقدسة) حتى الجيل العاشر كما فى سفر التثنية ٢٣ : ٢ – ٣ .

داود وامرأة أوريا : سفر صموئيل الثانى ١١ : ١ – ٢٧ .

* *

تدنيس نسب المسيح الطاهر

العصر الأول	العصر الثانى	العصر الثالث
١ – إبراهيم	١ – سليمان (من التى لاوريا) (١)	١ – شالتئيل
٢ – إسحق	٢ – رحبعام	٢ – زربّابل
٣ – يعقوب	٣ – أبيا	٣ – أبيهود
٤ – يهوذا (١) (ولَدَ)	٤ – آسا	٤ – الياقيم
٥ – فارص (٢) (وزارح من ثامار) (١)	٥ – يهوشافاط	٥ – عازور
٦ – حصرون	٦ – يورام	٦ – صادوق
٧ – أرام	٧ – عُزّيا	٧ – أخيم
٨ – عمينا داب	٨ – يوثام	٨ – أليود
٩ – نحشون	٩ – أحاز	٩ – أليعازر
١٠ – سلمون (ولَدَ)	١٠ – حزقيّا	١٠ – متّان
١١ – بوعز (من راحاب) (٣)	١١ – مَنَسّى	١١ – يعقوب (ولَدَ)
١٢ – عوبيد (من راعوث) (٢)	١٢ – آمون	١٢ – يوسف (رجل مريم التى ولد منها)
١٣ – يَسّى	١٣ – يوشيا (ولَدَ)	١٣ – يسوع (الذى يدعى المسيح)
١٤ – داود (١) (ولَدَ)	١٤ – يكنيا (وإخوته عند سَبى بابل »	١٤ – .....

يقول متى فى إنجيله : « فجميع الأجيال : من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلاً : **ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا** – ١ : ١٧ » .

الرموز والمصطلحات :

(١) من الزناة . (٢) ابن زنا . (٣) مومس .

ويقول جون فنتون : « يشير متى إلى أنه فى كل من العصور الثلاثة يوجد أربعة عشر جيلا ، **رغم أنه فى الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسما فى العصر الأخير** » .

(تفسير إنجيل متى ، ص ٤٠)

*

حقيقة نسب المسيح :

لقد تحدثت الأناجيل – بل ومريم أيضا – عن المسيح باعتباره : ابن يوسف النجار . وتحدثت عنه الأناجيل باعتباره : ابن الله !

فهل يتفق هذا والفهم والعقل الذى دعت إليه الأسفار المقدسة ، بعد أن عابت على الأغبياء عديمى البصيرة ؟! .

ولقد رأينا كيف أدى الإصرار على نسب المسيح ليوسف ، من منطلق ما سمى بالأبوة الشرعية ، وجعل يوسف ينحدر من نسل داود الملك ، ثم مخاطبة المسيح فى الأناجيل بقولهم : يا سيد يا ابن داود ، إن احتوت سلسلة النسب هذه على عدد من الزناة !

أما كان الأولى – وهو الحق الذى لا مرية فيه على الإطلاق – أن ينسب المسيح لأمه الطاهرة البتول التى اصطفاها الله – سبحانه – على نساء العالمين ، فيقال : **المسيح ابن مريم** ؟ .

ولقد عرف بين الإسرائيليين من انتسب لأمه ، وكان من كبار القوم ، مثل يوآب بن صروية قائد جيش داود (سفر صموئيل الثانى ٨ : ١٦) وكان داود يخشى بنو صروية فى أول حكمه إذ قال : « أنا اليوم ضعيف وممسوح ملكا ، وهؤلاء الرجال بنو صروية أقوى منى – صموئيل الثانى ٣ : ٣٩ » . وكانت صروية هذه أختا لداود : « يسَّى ولد بكره أليآب ، وأبينا داب الثانى ... **وداود السابع . وأختاهم : صروية وأبيجايل** . وبنو صروية : ابشاي **ويوآب** وعسائيل ، ثلاثة . وابيجايل ولدت عماسا – أخبار الأيام الأول ٢ : ١٣ – ١٧ » .

ومن المؤكد أن مريم تجيء من نسل هارون . فقد كانت قريبة لامرأة زكريا التى كانت « من بنات هارون واسمها اليصابات – لوقا ١ : ٥ » . وقد قال الملاك لمريم حين جاء يبشرها قبل الحمل : « هوذا اليصابات نسيبتك (قريبتك) هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختـها .. لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله – لوقا ١ : ٣٦ – ٣٧ » .

ولقد كان هذا هو ما قرره ويلز أستاذ التاريخ بجامعة لندن فى كتابه : يسوع المسيحيين الأوائل [١] .

ويقال في العربية : « أخو تميم ، أى واحد منهم . وأخو الصدق ، أى ملازم له » ومثله : يا أخا العرب ، أى يا ابن العرب .

فحق لمريم – إذن – أن تنسب إلى هارون الـذى كان أول من اختص هو وبنيه من بين بنى إسرائيل بالكهانة والحفاظ على الشريعة (سفر الخروج ٢٨ : ١) ، وقد اقتصرت على سبط لاوى وهو واحد منهم . ومن الجدير بالذكر أنه كان فى بدء ظهور المسيحية إنجيل ينسب لمتى ويعرف باسم : **إنجيل ميلاد مريم** ، وقد قبله عدد من الطوائف المسيحية باعتباره أصيلاً وقانونيا . وقد أشار إليه جيروم – أحد آباء الكنيسة الكبار الذى عاش فى القرن الرابع . « ومن هذا الإنجيل حاول العالم البريطانى فاوستس – الذى أصبح فيما بعد أسقف ريز – أن يثبت أن المسيح لم يكن من بيت داود ومن سبط يهوذا ، لأنه حسب ذلك الإنجيل لم تكن العذراء من سبط يهوذا وإنما كانت من سبط لاوى ، وإن أباها كان كاهنا » [٢] .

وعلى ضوء ما سبق ، نفهم لماذا قال قوم مريم لها ، عندما أتتهم تحمل وليدها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ إِمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٢٨] .

---

(1) - G . Wells : The Jesus of The Early Christians , London , 1971 , P . 12 .

(2) - The Lost Books of The Bible , published by : Forum Books New York , P . 17 .

وإن نسبة المسيح إلى أمه ، بأن يقال : **المسيح ابن مريم** ، لهو القول الحق الذى لا مراء فيه ، وهو الوسيلة الوحيدة لتخليص نسب المسيح الطاهر مما علق به من أذى ، وحل مشكلة الخلاف بين إنجيلى متى ولوقا حول سلسلة نسب المسيح (١) .

* *

(١) من أراد المزيد فليراجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، الفصل الثالث .

٢ - أسماء التلاميذ

مسلسل عام	متى ، ومرقس (١٠ : ٢ - ٤) (٣ : ١٦ - ١٩)	لوقا (٦ : ١٤ - ١٦)
١	سمعان ، الذى يقال له بطرس	سمعان ، الذى سمَّاه أيضا بطرس
٢	أندراوس ، أخوه	أندراوس ، أخاه
٣	يعقوب بن زبدى	يعقوب
٤	يوحنا ، أخوه	يوحنا
٥	فيلبس	فيلبس
٦	برثولماوس	برثولماوس
٧	توما	توما
٨	متى العَشَّار	متى
٩	يعقوب بن حَلْفِى	يعقوب بن حَلفى
١٠	**لَبَّاوُس الملقب تدَّاوس**	**يهوذا أخا يعقوب**
١١	سمعان القانونى	سمعان ، الذى يدعى الغيور
١٢	يهوذا الاسخريوطى (الخائن)	يهوذا الاسخريوطى

يقول جورج كيرد : « عندما كُتب الإنجيل ، لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ : « **إن يهوذا بن يعقوب لا يظهر فى القائمة المذكورة فى إنجيل كل من مرقس ومتى ، بينما شغل مكانه لباوس الملقب تداوس** » (تفسير إنجيل لوقا ، ص ١٠١) .

ويذكر **انجيل يوحنا** أسماء بعض التلاميذ من بينهم يهوذا آخر غير الخائن وهو الذى يقول عنه : « يهوذا ليس الاسخريوطى - ١٤ : ٢٢ » .

وتجدر الإشارة إلى أن يهوذا أخا يعقوب المذكور فى ترجمة البروتستانت

قد ذكرته ترجمة الكاثوليك المأخوذة عن الترجمة المسكونية باسم : يهوذا بن يعقوب (منشورات دار المشرق) !

*

٣ - المسيح يلعن شجرة تين !

مرقس (١١ : ١٢ - ٢١)	اليوم	متى (٢١ : ١٢ - ٢١)
فى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع ، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله وجد فيها شيئا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئًا إلا ورقا . **لأنه لم يكن وقت التين .** فأجاب يسوع وقال لها : لا ياكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون . وجاءوا إلى أورشليم . **ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام .** ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة .	الأول (الاثنين)	**ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام .** ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك .
وفى الصباح إذ كانوا مجتازين ، رأوا التينة قد يبست من الأصول . فتذكر بطرس وقال له : يا سيدى انظر . التينة التى لعنتها قد يبست .	الثانى (الثلاثاء) R.S.V.	وفى الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال . فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون .

يقول **جون فنتون** : « نجد فى إنجيل مرقس أن يسوع يبحث عن ثمر فى الشجرة ، ويلعنها فى نفس اليوم ، ثم يلفت بطرس نظر يسوع إلى جفافها **فى اليوم التالى** . لكنه نتيجة لما قام به متى من إعادة ترتيب الرواية ، فإن جميع أحداثها تقع **فى نفس اليوم** » (**تفسير إنجيل متى : ص ٣٣٦**) .

*

تحديد يومى الاثنين والثلاثاء جاء حسب الترجمة الإنجليزية القياسية المراجعة والتى تعرف اختصارا : R . S . V . ولا يهم هذا التحديد فى شىء ، إذ يكفى أن يقال : اليوم الأول ، واليوم الثانى .

*

ويقول المسيح فى موعظة الجبل : « أحبوا أعداءكم . باركوا لأعينكم . أحسنوا إلى بعضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم » (متى ٥ : ٤٤) ، لكنه هنا يلعن شجرة تين مسكينة لم يجد فيها ثمراً « **لأنه لم يكن وقت التين** » . وهذا بعض ما فعله كتبة الأناجيل بالمسيح !

*

إن كاتب هذه السطور يبرىء المسيح من هذا الموقف وأمثاله ، فالصورة الذهنية التى انطبعت عنده من القرآن عن المسيح تجعله أكبر من ذلك بكثير .

* *

٤ – تنبؤات باطلة !

● نهاية العالم تحدث فى القرن الأول الميلادى !

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل – وعلى رأسهم تلاميذ المسيح – أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاشوا فى القرن الأول للميلاد وعاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة التى يعقبها عودة المسيح ثانية إلى الأرض حيث تكون القيامة ويدان الناس أجمعون فيذهب فريق إلى الجنة والباقى إلى السعير . لقد قرر ذلك صراحة كتبة الأناجيل المتشابهة : متى ومرقس ولوقا . كما أن بولس كان يعتقد أنه سيبقى حيًّا لحين عودة المسيح ، فكتب يقول : « إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب (يسوع) لا نسبق الراقدين (الأموات) . لأن الرب نفسه سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم لملاقاة الرب فى الهواء (١) تسالونيكى – ٤ : ١٥ – ١٧ » .

يقول وليم باركلى تعليقا على هذه الفقرة : « عندما كتب بولس هذا ، فمن الواضح أن كان يتوقع حدوث **المجىء الثانى** للمسيح أثناء حياته وحياة أولئك الذين كان يكتب لهم . وهو يكتب فى الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى ٥ : ٢٣ أنه يصلى لله لكى « تحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء الرب يسوع المسيح » . إن الشىء ذا المغزى الخطير هنا هو ذكر الجسد . فمن الواضح – إذن – توقع بقائهم فى الجسد عند عودة المسيح ، أى أنه توقع عودة المسيح أثناء حياتهم وحياته »[1] .

أما إنجيل يوحنا فقد كان هو الوحيد الذى تجنب هذا المأزق الخطير لأن هذا الإنجيل كتب فى مطلع القرن الثانى بعد أن تبين للناس عدم عودة المسيح سريعا إلى الأرض .

---

(1) W . Barclay : The Mind of St . Paul , London , 1958 , P . 165 .

علامات المجيء الثانى للمسيح :

« تكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم .. قوات السماء تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الإنسان (المسيح) آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير » (لوقا ٢١ : ٢٥ – ٢٧) .

لقد تنبأ المسيح أن ذلك سوف يحدث :

(١) قبل أن يكمل تلاميذه التبشير فى مدن إسرائيل !:

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات .. إن الحق أقول لكم : لا تكمِّلون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » (متى ١٠ : ٥ – ٧ ، ٢٣) .

(٢) قبل أن يموت بعض الذين وقفوا أمامه واستمعوا إليه !:

« الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته » (متى ١٦ : ٨ ؛ مرقس ٩ : ١ ؛ لوقا ٩ : ٢٧) .

(٣) قبل أن يفنى الجيل الذى عاصر المسيح !:

« فيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر . فأجاب يسوع وقال .. للوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء .. ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير .. الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (متى ٢٤ : ٣ ، ٢٩ – ٣٤ ؛ مرقس ١٣ : ٣ ، ٢٤ – ٣٠ ؛ لوقا ٢١ : ٧ ، ٢٥ – ٣٢) .

● **تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقا على تنبؤات الأناجيل :**

« إن الاعتقاد فى المجىء الثانى للمسيح كان دائما هو المعتقد الشرعى للمسيحيين وبالرغم من ذلك فإن نهاية العالم لم تحدث . وحتى **لو حدثت الآن فإنها لن تكون تحقيقا لما هو مكتوب فى العهد الجديد ، لأن ما كان منتظرا هو النهاية الوشيكة للعالم** » (طبعة ١٩٦٠ – ج ٢ – ص ٥٢٣) .

* *

● **المسيح يدفن فى الأرض : ثلاثة أيام وثلاث ليال ! :**

« أجاب قوم من الكتبة والفرنسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطي له إلا آية يونان النبى ، **لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال** » (متى ١٢ : ٣٨ – ٤٠) .

ويزعم كتبة الأناجيل أن يسوع صلب **يوم الجمعة** ، ثم أنزل من على الصليب قبل الغروب ووضع فى قبر . **وفجر الأحد** اكتشفت « مريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين – مرقس ١٦ : ٩ » ، أن القبر خال من أى جسد . وبذلك لا تتعدى المدة التى قضاها ذلك الميت فى القبر : يوما واحدا ، وليلتين ، على أكثر تقدير .

● **وتقول التوراة للتمييز بين النبى الصادق والنبى الكاذب :**

« إن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب : **فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ، فلا تخف منه** » (تثنية ١٨ : ٢١ – ٢٢) .

« **أما النبى الذى يطغى** فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، **فيموت ذلك النبى** » (تثنية ١٨ : ٢٠) .

وكان هذا بعض ما فعله كتبة الأناجيل بالمسيح [١] !!

* *

(١) لمزيد من التفاصيل حول الملاحق من رقم (٢) إلى رقم (٧) راجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر القصائد المسيحية .

٥ – من أقوال المسيح وتعاليمه

(١) المسيح لم يأت من أجل السلام على الأرض ! :

فهكذا قال المسيح :

« **لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا** – متى ١٠ : ٣٤ » .

« جئت لألقى نارا على الأرض ، فماذا أريد : لو اضطرمت ! **أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض ؟! كلا** ، أقول لكم ، بل انقساما – لوقا ١٢ : ٤٩ – ٥١ » .

فهل يتفق هذا مع لقب « أمير السلام » الذى يعطى للمسيح ، اقتباسا من فقرة من أشعيا ٩ : ٦ ، والتى تستخدم كنبوءة عنه ؟ .

وهل يتفق هذا مع دعاء الملائكة بالسلام على الأرض يوم مولد المسيح ، إذ « هذا ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالى ، **وعلى الأرض السلام** ، وبالناس المسرة » كما ذكر لوقا فى إنجيله ٢ : ١٣ ؟! .

*

(٢) تعاليم التسامح المثالى غير قابلة للتطبيق :

لقد قال المسيح – فى موعظة الجبل – كثيرا من تعاليم التسامح المثالى ، مثل : « سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن [١] . وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر . **بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا** – متى ٥ : ٣٨ – ٣٩ » .

---

(١) ورد هذا فى أسفار موسى : خروج ٢١ : ٢٤ ؛ لاويين ٢٤ : ٢٠ ؛ تثنية ١٩ : ٢١ .

وعندما ننظر فى إمكانية تطبيق مثل هذا التسامح المثالى الجميل حقًّا ، نجد الإنجيل يظهر لنا المسيح وقد نقض هذا التعليم . فها هو كاتب إنجيل يوحنا يقول : « سأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية .. وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا ؟! اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم .. ولما قال هذا ، **لطم يسوع واحد من الخدام** كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟! .

أجابه يسوع: إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى ، وإن حسنا فلماذا تضربنى ؟! – ١٨ : ٢٣ » .

وهكذا لم يدر له المسيح خده الآخر ، حسب تعليمه الذى دعا الناس إلى العمل به ! .

ولقد رأينا سلفا – فى الموضوع رقم (٣) من هذا الملحق – كيف انهارت القاعدة الذهبية الجميلة التى تقول : « أحبوا أعداءكم .. باركوا لاعنيكم » ، عندما « جاع المسيح فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا ، لأنه لم يكن **وقت التين** » فاغتاظ جدا لدرجة أنه لعنها ، إذ دعا عليها قائلا : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد » . وما كان لهذه الشجرة من ذنب ، إذ لم يكن وقت التين . ولا نظن أحدا يمارى فى أنه لو دعا لها المسيح بأن تثمر ، فأثمرت – بدلا من أن يدعو عليها – لكان ذلك خيرا وأفضل .

ويلفت ج . ويلز – أستاذ التاريخ بجامعة لندن النظر إلى عدم التزام المسيح بتعاليمه الأخلاقية [1] مثل قوله : « **من قال : يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم** – متى ٥ : ٢٢ » .

إذا أن الأناجيل تظهر لنا المسيح وهو يشتم الكثيرين !

« أيها الحيات ،أولاد الأفاعى ،كيف تهربون من دينونة جهنم – متى٢٣ :٣٣ »

---

(1) G . Wells : The Jesus of The Early Christians , PP . 69 - 71.

وقد شتم تلاميذه ، إذ قال لبطرس : « اذهب عنى يا شيطان ! – متى ١٦ : ٢٣ » وشتم آخرين منهم : « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان ! لوقا ٢٤ : ٢٥ » ، بل إنه شتم أحد الذين استضافوه ليتغدى عنده ، شتمه فى بيته : « سأله فريسى أن يتغدى عنده . فدخل واتكأ . وأما الفريسى فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولا قبل الغداء فقال له الرب : أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا . يا أغبياء ! . . ويل لكم أيها الفريسيون ! . . فأجاب واحد من الناموسيين وقال له : يا معلم ، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا . فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ! – لوقا ١١ : ٣٧ – ٤٦ » .

*

(٣) تعاليم المسيح حول اليتامى :

لا شىء على الإطلاق ! . . .

لم تذكر الأناجيل الأربعة تعليما محدداً للمسيح عن اليتامى ، تلك الطائفة التعسة بين البشر من أطفال وأولاد وبنات !

فلا نجد شيئا مثل قول الحق فى القرآن :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ٨ – ٩] .

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٢] .

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ، وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا ﴾[سورة النساء : ٦] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (سورة النساء : ١٠] .

* *

الملحق رقم (٨)

٠٠ لس

بولس يهوديا :

اشتهر بولس بتعصبه ليهوديته ومشاركته فى اضطهاد المسيحيين وقتلهم والسطو على الكنيسة ٠ ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين قتلوا استفانوس - أول شهيد فى المسيحية – قد « خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول (بولس) وكان شاول راضيا بقتله – ٧ : ٥٨ ، ٨ : ١ » ٠

« وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن – أعمال الرسل ٨ : ٣ » ٠

بولس مسيحيا :

بعد رحيل المسيح بنحو ست سنين أعلن بولس فجأة أنه قد أصبح رسولا للمسيح أثر حادثة قال إنها وقعت له على طريق الذهاب إلى دمشق ٠ ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إعلانه قبول المسيحية ، ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها ، كان من اللازم تمحيصها حتى نتبين حقيقة الأمر ٠

لقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول بولس إلى المسيحية فى ثلاثة إصحاحات هى : التاسع ، والثانى والعشرين ، والسادس والعشرين ٠ يقول الإصحاح التاسع : « فى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ٠ فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى تضطهده ٠٠

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحدا – أعمال ٩ : ٣ – ٧ » .

أما الإصحاح الثانى والعشرون فيقول : « ... ... فأجبت : من أنت يا سيد ؟ فقال لى : أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده .

والذين كانوا معي : نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى أعمال ٢٢ : ٨ – ٩ » .

وبمقارنة هاتين القصتين مع التركيز على الكلمات : (١) المكتوبة بالبنط الأسود ، (٢) الكلمات التى تحتها خط مستمر ، (٣) الكلمات التى تحتها خط متقطع ، يسهل تقرير الآتى :

(١) فى الإصحاح التاسع ، قال المتحدث : أنا يسوع (وهو نفسه ما جاء فى الإصحاح السادس والعشرين) ، أما فى الإصحاح الثانى والعشرين : فقد قال : أنا يسوع الناصرى .

(٢) فى الإصحاح التاسع : نجد أن المسافرين معه سمعوا الصوت ، أما فى الإصحاح الثانى والعشرين : فلم يسمعوا الصوت .

(٣) فى الإصحاح التاسع : نجد أن المسافرين معه لم ينظروا أحدا ، أما فى الإصحاح الثانى والعشرين : فقد نظروا النور .

من الواضح – إذن – أن هاتين القصتين المتناقضتين تثيران الشكوك فى حقيقة تحول بولس إلى المسيحية . ومما يزيد هذه الشكوك أن الروايات الثلاث التى ذكرت رؤيته النهارية على طريق دمشق ، قد اتفقت على أن المتحدث قال له : أنا يسوع (فى روايتين ، وفى ثالثة : أنا يسوع الناصرى) ، فكان الواجب الذى لا مفر منه أن يبدأ بولس مسيحيته بالدعوة إلى الإيمان بيسوع الناصرى ، إلا أنه بدلا من ذلك كان أول ما بدأ به هو الدعوة إلى الإيمان : بيسوع ابن الله ! .

فها هو الإصحاح التاسع - الذى ذكر القصة الأولى - يقول عن بدء النشاط التبشيرى لبولس : « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله - أعمال ٩ : ٢٠ » .

لقد كان هذا أول معتقد أدخله بولس فى مسيحيته التى بدأ يبشر بها . ولقد كانت رسائله التى بدأ كتابتها قبل أقدم الأناجيل - إنجيل مرقس - بأكثر من خمسة عشر عاما ، هى المصدر الكتابى الذى تسربت منه .

تقول **الترجمة الفرنسية المسكونية** فى مدخل إلى العهد الجديد ، و تحت عنوان : بعض النظرات إلى العالم اليونانى الرومانى : « أخذ الناس ، قبل العهد المسيحى بقليل ، **ينظرون إلى الأباطرة نظرتهم إلى كائنات إلهية ، أبناء الله ، بل آلهة** . وهذا التطور ، وقد أثرت فيه تأثيراً كبيراً معتقدات الشعوب الشرقية (مصر وفارس) موافق لمنطق الأمور . .

وتشمل الحفلات (الدينية) صلوات طقسية (دعاء ودعوة الإله إلى الذبيحة وطلب للخيرات ، وذبائح ينظرون إليها نظرهم إلى هدايا تهدى للإله) . . وقد ساعد اختلاط الأفكار والناس على نشر عبادات أصلها شرقى . . نذكر عبادات إيزيس ، وفيها اختبارات متتابعة تصحب التلقين **وتسير بالإنسان إلى الاندماج فى أوزيريس الإله الذى مات ، فأعادته أساليب إيزيس السحرية إلى الحياة** . فقد كانوا يعلنون أنها تحتوى ضمانا للخلود [1] » .

« **وهكذا ، شاع فى العالم اليونانى الرومانى ، قبل العصر المسيحى بقليل ، عدد من الأفكار الوثنية مثل : إطلاق اسم : ابن الله ، على كبار الشخصيات وصانعى الأعاجيب . وكذلك شاعت فيه ديانات الطقوس السرية التى تقوم على الإندماج فى الإله من خلال الزعم بأكل لحمه وشرب دمه فى احتفال طقسى تكتنفه الأسرار ، ومن ثم يحصل العابد على الخلود**

---

(١) العهد الجديد - منشورات دار المشرق - ص ١٥ - ١٦ .

الذى يتمتع به المعبود . ولقد اقتبس بولس هذه الأفكار وتأثر بها وسجلها فى رسائله ، وعنه أخذ كتبة الأناجيل .

يقول هيام ماكوبى فى كتابه : صانع الأسطورة : « أين نجد أول تعبير عن الفكرة التى تقول أن يسوع قد سن طقس القربان المقدس كشعيرة دائمة فى الكنيسة المسيحية ؟

إن أول توكيد لهذا نجده فى رسائل بولس ، والتى نجد فيها أيضا أول إشارة إلى فكرة القربان المقدس ، أى الفكرة التى تقول بوجود قوة للخلاص فى جسد المسيح ودمه . فهو يقول :

« لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلاً : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى . اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى .. (١ - كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٣٠) » .

فمن هذه الفقرة يتضح تماما أن بولس هو مخترع القربان المقدس كفكرة وكسنَّة راسخة الجذور . فهو يقول بكل وضوح أن هذا القربان قد تأسس بناء على وحى تلقاه شخصيا ، إذ يقول : لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم »[1] .

وهكذا ، أدخل بولس إلى مسيحيته التى بدأ يبشر بها فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه ، ممثلا فى خبز وخمر ، قربانا مقدسا - يجلب الخلاص لمعتنقى هذه الفكرة !

*

بولس وتلاميذ المسيح :

« لما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . **وكان**

(1) Hyam Maccoby : The Myth Maker , PP . 112 - 3 .

الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل – أعمال ٩ : ٢٦ – ٢٧ « » .

لكن بولس لم يلبث أن انقلب على برنابا ، كما انقلب على غيره من التلاميذ . فقد « حصل بينهما (بولس وبرنابا) مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختار سيلا .. فاجتازا فى سورية – أعمال ١٥ : ٣٩ – ٤١ » .

ولقد استجوبته كنيسة أورشليم – وهى مجمع رسل المسيح ، وكان أول أساقفتها يعقوب الصغير الذى ذكره متى فى عداد أخوة المسيح وهم : « يعقوب ، ويوسى ، وسمعان ، ويهوذا – ١٣ – ٥٥ » ، وقد سماه بولس : « يعقوب أخا الرب – غلاطية ١ : ١٩ » – فقد كان هناك شكوى ضد بولس أمام مشايخ أورشليم من أنه « يعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد – أعمال ٢١ : ٢٠ – ٢١ » .

ولقد حفظ بولس هذا الموقف فى نفسه ، فطفق يكرر فى رسائله أنه ليس أقل من أعظم رسل المسيح وتلاميذه الذين عاشروه وتتلمذوا عليه : « ليتكم تحتملون غباوتى قليلا .. **لأنى أحسب أنى لم أنقص شيئًا عن فائقى الرسل** – (٢) كورنثوس ١١ : ١ – ٥ » .

« قد صرت غبيا وأنا أفتخر . أنتم ألزمتمونى ، لأنه كان ينبغى أن أمدح منكم ، إذ لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل (٢) كورنثوس ١٢ – ١١ » .

*

فكر بولس :

كان بولس يظن أن عنده روح الله : « أظن أنى أنا أيضًا عندى روح الله – (١) كورنثوس ٧ : ٤٠ » .

وأنه سيدين ملائكة : « ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة – (١) كورنثوس ٦ : ٣ » .

وقد جعل كل الأشياء تحل له ، فكرر هذا الزعم كثيرا فى رسائله : « كل الأشياء تحل لى – (١) كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » .

ونسب بولس إلى الله جهالة – أى حماقة – وضعفا ! .. تعالى الله عما يقول علوا كبيرا .. « جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس – (١) كورنثوس ١ : ٢٥ » .

وكان بولس يعتقد أن شيطانًا قد وُكِّل إليه أن يضربه ، فيؤدبه لكى يتجنب الغرور ! « رسول الشيطان وكِّل إليه بأن يلطمنى لئلا أتكبر – (٢) كورنثوس ١٢ : ٧ » [١] .

ولقد كان بولس يدعو العبيد إلى الخضوع لسادتهم ، باعتبار أن هذه السيادة قد جاءت من الله : « جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام ، لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه – (١) تيموثاوس ٦ : ١ » .

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله . حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة – رومية ١٣ : ١ – ٢ » .

لقد كان هذا شيئًا يرضى الحكام الرومان تماما ، وكان هذا المفهوم سائدا فى فجر المسيحية : فها هو بطرس – رئيس التلاميذ – يقول : « أيها الخدام : كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ، ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء أيضا . لأن هذا فضل ، إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزانا متألما بالظلم (١) بطرس ٢ : ١٨ – ١٩ » .

ولقد أدى الإيمان بمبدأ الخضوع للسلاطين باعتبارهم يستمدون سلطانهم

---

(١) حسب الترجمة العربية للكاثوليك المأخوذة عن الترجمة الفرنسية المسكونية التى تقول : " ... Un ange de Satan chargé de me frapper , pour m'éviter " .

من الله إلى ما عرفته أوربا المسيحية فيما بعد من الزعم بأن الملك هو ظل الله على الأرض ، وأنه يحكم الشعب بتفويض إلّهى .

*

بولس والمسيح :

لقد كان بولس أول من دعاه ابن الله ، ورفض تسميته : ابن الإنسان ، وهو ما استخدمه المسيح كثيرا عند الحديث عن نفسه ، حسبما تذكر الأناجيل الأربعة ، فى مثل هذه الأقوال : « ... ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه – متى ٨ : ٢٠ » .

« لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا – مرقس ٢ : ١٠ » .

« كل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له – لوقا ١٢ : ١٠ » .

« متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو – يوحنا ٨ : ٢٨ » .

ولقد كان المسيح يأمر بإقامة كل ما جاء فى ناموس موسى والأنبياء ، فقال فى بدء دعوته : « **لا تظنوا أنى ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل** . فانى أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل – متى ٥ : ١٧ – ١٨ » .

وفى نهاية دعوته : « خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون – متى ٢٣ : ١ – ٣ » .

ولقد أنذر المسيح من يتعدى ناموس موسى والأنبياء بأنه سيكون أحقر الناس يوم الدينونة ، فقال : « **فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات .**

وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات – متى ٥ : ١٩ » .

لكن بولس كان يقول بعكس ذلك تماما ، فهجومه على الناموس معروف ، ودعوته إلى التحرر من سلطانه ، تملأ رسائله . فقد قال : « **نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس** ، بل بإيمان يسوع المسيح .. **لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما** – غلاطية ٢ : ١٦ » .

« **قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح** ، لكى نتبرر بالإيمان – ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب – غلاطية ٣ : ١٠ – ٢٥ » .

ولقد كان المسيح يعلم الإسرائيليين أن جوهر الناموس يتركز فى : « **الحق والرحمة والإيمان** . كان ينبغى أن تعملوا هذه – متى ٢٣ : ٢٣ » .

وأن الله يريد الرحمة ، لا الذبيحة والقربان ، فقال المسيح : « اذهبوا وتعلموا ما هو : **إنى أريد رحمة لا ذبيحة** – متى ٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧ » .

والمسيح يشير هنا إلى ما جاء فى أسفار الأنبياء : « **إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، ومعرفة الله أكثر من محرقات** – هوشع ٦ : ٦ » .

وقد أكد داود هذا المعنى من قبل ، فقال فى مزاميره : « بذبيحة وتقدمه لم تسر . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب – مزمور ٤٠ : ٦ » .

« ذبائح الله هى روح منكسرة – مزمور ٥١ : ١٧ » .

لكن بولس ، خلافا لكل ذلك ، يصر على أن الذبيحة هى السبيل إلى الخلاص والمصالحة مع الله . وأن تلك الذبيحة لابد أن تكون المسيح ابن الله ، الذى يقتل على الصليب رغما عنه ؛ بزعم أن ذلك يكفر عن خطايا البشر : « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه – رومية ٥ : ١٠ » .

« الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين – رومية ٨ : ٣٢ » .

ولهذا أغمض بولس عينيه عن كل ما جاء فى مسيحية المسيح الحقة الفاضلة ، وأقام بدلاً منها مسيحية الصلب وسفك الدم : « **إنى لم أعزم**

أن أعرف شـــيئا بيـــنكم إلا يســـوع المسيح وإياه مصلوبا – (١) كورنثوس ٢ : ٢ » .

هذا – ولقد جرى التقليد على أن بولس جعل المسيح إلٰها ، وفق عبارة يستشـــهد بها كثيراً ، تقول : « ومنهم (الإسرائيليين) المسيح ، حسب الجسد ، **الكائن على الكل إلٰها مباركا إلى الأبد** ، آمين رومية ٩ : ٥ » .

لكن هذا القول أصبح فى حاجة إلى إعادة نظر على ضوء الترجمات المختلفة ، وكم غيرت المقارنة بين الترجمات من مفاهيم ومعتقدات سادت قرون عديدة ثم ثبت زيفها . وما حذف فقرة التثليث ببعيد . كذلك أصبح هذا القول فى حاجة إلى مراجعة ، على ضوء مفهوم بولس لوضع المسيح بالنسبة لله كما عبر عنه فى رسائله .

إن هذا الموضوع الخطير يتطلب بحثا بشىء من التفصيل ، وليس نقطة فرعية أو تعليقا جانبيا . وهـذا ما نطـرحه الآن ، فى صيغة سؤال نقدم له الإجابة .

* *

هل جعل بولس المسيح إلٰها ؟!

لقد تحدث بولس عن عقيدته فى الله ، فعبر فى فقرات كثيرة من رسائله عن إيمانه بالله الواحد . وحين تحدث عن المسيح فقد عبر عن اعتقاده بإنه إنسان قام بدور الوساطة بين الله والناس ، فقال : « لأن الله واحد ، والوسيط بين الله والناس واحد ، ألا وهو المسيح يسوع الإنسان – (١) تيموثاوس ٢ : ٥ » .

وقد اتفقت على ذلك الترجمات المختلفة .

وحين تحدث عن وضع المسيح أمام الله أعلن ، بصراحة ووضوح أنه يتحدث عن : اثنين ، لا عن شيء واحد ، **وأن الله هو « الأعلى »** ، ولا شك .

فقد اتفقت جميع التراجم العربية والإنجليزية والفرنسية على مفهوم قول بولس : « وأريد أن تعلموا أن :

رأس كل رجل هو المسيح

ورأس المرأة هو الرجل

ورأس المسيح هو الله –

(١) كورنثوس ١١ : ٣ » .

من هذا – ومثله كثير فى رسائل بولس – نجد عقيدة واضحة ، لا تخلط بين الله والمسيح ، وتقرر أنه : – لا إلٰه إلا الله .

– المسيح إنسان رسول

من الله إلى الناس .

فإذا وجدنا بعد ذلك قولا ينسب لبولس ، ويجعل المسيح « إلٰها على الكل » أو ما شابه ذلك ، فقد ناقض بولس نفسه ولا شك وشطح بعيداً عن الحقيقة إلى الظنون والأوهام ، وهدم ما جاء فى كتب موسى والنبيين من بعده ، ورفض كلام الله على لسان أشعياء « اجتمعوا يا كل الأمم معا ولتلتئم القبائل .

قبلى لم يصور إلٰه ، وبعدى لا يكون .

أنا الرب وليس آخر ، لا إلٰه سواى .

بمن تشبهوننى وتسوونى وتمثلوننى لنتشابه ؟! .

إنى أنا الله وليس آخر . الإلّه وليـــس مثلى – أشعياء ٤٣ : ٩ – ١٠ ، ٤٥ : ٤ ، ٤٦ : ٥ ، ٩ » .

إن هذا القول المنسوب لبولس يحتاج إلى تمحيص حتى نتبين حقيقة هذا الفكر العقائدى المتقلب الذى يتردد بين عقائد أهل اليمين مرة وعقائد أهل الشمال مرات ومرات .

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك : « ورؤساء الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد الذى هو على كل شىء **إلّه مبارك مدى الدهور** . آمين – رومية ٩ : ٥ » .

وتتفق مع هذا ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت .

وكذلك تتفق ترجمة العهد الجديد للكاثوليك وترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية مـع هذا القـــول ولكن . بصـــيغة تقول : « والآباء ومنهم المسيح من حيث أنه بشر ، وهو فوق كل شىء إلّه مبارك أبد الدهور . آمين » .

وتتفق مع هذا ترجمة الملك جيمس الإنجليزية (١) .

أما التراجم الإنجليزية والفرنسية الأخرى والأحداث فإنها تقول شيئًا آخر .

فالترجمة القياسية المراجعة تقول (٢) : « وإليهم ينتسب الآباء ، ومن جنسهم المسيح حسب الجسد . **تبارك الله الذى هو فوق كل شىء إلى الأبد** . آمين » .

---

(1) " Whose are the fathers , and of whom as concerning the flesh Christ came , who is over all , God blessed forever . Amen " .

(2) " to them belong the patriarchs , and of their race , according to the flesh , is the Christ . God who is over all be blessed for ever . Amen "

وتتفق مع هذا ترجمة « إنجليزية اليوم » **حيث تجعل التبريك خاصا بالله فقط ، ولا تنسب للمسيح ألوهية** [١] .

وبالنسبة للتراجم الفرنسية : نجد أن ترجمة لوى سيجو تتفق مع التراجم العربية فى جعل التبريك والألوهية يتعلقان بالمسيح ، إلا أنها تشير فى الحاشية إلى أنه يمكن ترجمة تلك الفقرة بما يخالف ذلك ، **حيث يتعلق التبريك والألوهية بالله** [٢] .

وقد فعلت ذلك أيضا الترجمة الفرنسية المسكونية [٣] حيث ذكرت فى الحاشية أن بعض المفسرين يختمون الجملة الأولى بكلمة المسيح ، لتبدأ الجملة الثانية بتسبيحة لله الآب ، مع إشارة هامة إلى أن هذا القول له نظائر كثيرة فى رسائل بولس فهو يتفق مع أسلوبه كما جاء فى رسائله التى أشير إليها وقال فيها : « الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون **الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد** . آمين – رومية ١ : ٢٥ » .

« **مبارك الله** أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية – (١) كورنثوس ١ : ٣ » .

« الله أبو ربنا يسوع المسيح **الذى هو مبارك إلى الأبد** يعلم أنى لست أكذب – (٢) كورنثوس ١١ : ٣١ » [٤] .

---

(1)" ... and Christ , as a human being , belongs to their race . May god , who rules over all be praised forever : Amen " .

(2) " On peut traduire aussi : de qui est issu le Christ selon la chair . Que le Dieu qui est au - dessus de toutes chose soit béni éternellement . Amen ! " .

(3) " Certains cimmentateurs , coupant la phrase après Christ , comprennent la fin du Verset comme une doxologie addressée au Père : celui qui est Dieu au dessus de tout , est (ou : soit) béni eternellement . Amen " .

(4) RSV : " The God and Father of the Lord Jesus , **he who is blessed for ever , knows that I do not lie .**

TOB : " Dieu , le père du Seigneur Jesus , qui est béni pour l' éternité , sait que je ne mens pas " .

« **مبارك الله** أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السموات فى المسيح – أفسس ١ : ٣ » .

من كل ما سبق يتضح أن بولس لا يمكنه أن يقول أن المسيح « كائن على الكل إلهًا مباركا إلى الأبد » وإنما التبريك والألوهية لله وحده وليست للمسيح .

وإذا كان بولس قد انزلق وجعل المسيح إلهًا فقد ناقض نفسه إذن فى عقيدة التوحيد التى صرح بها كثيرا فى رسائله ، ولا يمكن أن يصدر عنه هذا القول – وما شابهه – وهو فى حالة وعى وتيقظ ، بل لابد أن يكون قدر اعترته غيبوبة كتلك التى يقول فيها عن نفسه ، حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : « وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل **أنى حصلت فى غيبة** – أعمال الرسل ٢٢ : ١٧ » .

أو بتعبير العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية : « بينما أنا أصلى ، **غبت عن الحس** » .

*

الله هو الأعظم :

لقد عبر المسيح عن ذلك صراحة فقال : الله « أعظم منى – يوحنا ١٤ : ٢٨ » وقال المسيح أن : الله « المثل الأعلى فى السموات والأرض » وله الكمال المطلق والصلاح المطلق ، فقال لمن دعاه : المعلم الصالح : « لماذا تدعونى صالحا ؟! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله – مرقس ١٠ : ١٨ » .

ولقد عبر بولس عن مثل هذا الفكر ، فبين عند الحديث عن الله والمسيح معه أن الله هو الأعظم دائما ، وهو الأكبر دائما أو بإيجاز : الله أكبر ! فقال – كما رأينا – أن المسيح هو رأس كل رجل أى سيده ، وأن الله هو رأس المسيح أى سيده (١ – كورنثوس ١١ : ٣) .

وقال بولس : « أما أنتم فللمسيح ، والمسيح لله – (١) كورنثوس ٣ : ٢٣ » .

« حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع ، فواضح أنه غير الذى أخضعَ له الكل .

ومتى أخضع له الكل ، فحينئذ الابنُ نفسه أيضا سيخضعُ للذى أخضع له الكل (أى يخضع لله) – (١) كورنثوس ١٥ : ٢٧ – ٢٨ » .

وقال بولس : « أيها النساء اخضعن لرجالكن ، كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ... ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء – أفسس ٥ : ٢٢ – ٢٣ » .

ويشار فى حاشية هذه الفقرة إلى ما جاء فى سفر التكوين ٣ : ١٦ من قضاء الله بخضوع المرأة لرجلها خضوع سيادة ، إذ يقول : « إلى رجلك يكون اشتياقك ، **وهو يسود عليك** » .

مما سبق يتبين بوضوح أن الفكر اللاهوتى لبولس يقوم على أن :

– الله واحد .

– الله والمسيح اثنان ، وليسا شيئًا واحدًا .

– الله هو الأعظم ، والمسيح خاضع له خضوع سيادة .

وينتج عن ذلك :

أن بولس لا يعلم شيئا عن التثليث الذى استحدثه آباء الكنيسة فيما بعد على مراحل ، حين قرروا فى مجمع نيقية ٣٢٥ م أن « المسيح ابن الله المولود من الآب ، وأنه إله مساو للآب فى الجوهر » . ولم يذكروا شيئًا عن الروح القدس فى ذلك الحين ، فلم يدخل ضمن الآلهة . ثم قرروا فى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ « أن الروح القدس خالق غير مخلوق ، وأنه إله من طبيعة الآب

والابن ، وأن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم ، وأن هؤلاء الثلاثة إلٰه واحد » .

وهكذا دخل التثليث على مسيحية المسيح التى كانت فى أول أمرها توحيداً .

تقول **دائرة المعارف الأمريكية** : « لقد بدأت عقيدة التوحيد ،كحركة لاهوتية ، بداية مبكرة جداً فى التاريخ . وفى حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين .. » .

إن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى ، لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله . لقد كانت ، على العكس من ذلك ، انحرافا عن هذا التعليم .. إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة ، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة .. إن أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث ، ونجد ترتليام (٢٠٠ م) الذى كان أول من أدخل تعبير التثليث فى التفكير المسيحى ، مسؤولا عن الفقرة التى تقول أن فى أيامه : كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنساناً » (١) .

*

هذا ، ولقد استحدث بولس فى المسيحية فكرة القربان المقدس بأكل لحم المسيح وشرب دمه ، وأن موته على الصليب كان ضرورة من أجل المصالحة مع الله والتكفير عن خطايا البشر !

ويرفض هذا الفكرَ البولسى طائفةُ « الموحدين – من المسيحيين – Unitarians » وهى طائفة موجودة منذ أيام المسيح حتى اليوم تؤمن أن المسيح ما هو إلا بشر رسول قد خلت من قبله الرسل ، ولها كنائسها التوحيدية المنتشرة فى أوربا وأمريكا الشمالية .

---

(1) ENCYCLOPEDIA AMERICANA , 1959 , vol . 27 P . 294 .

وتعرض **دائرة المعارف الأمريكية** أساسيات فكر « **الموحدين** » المسيحيين ، حسبما جاء فى أقوالهم ، كالآتى :

« إن يسوع فكر فى نفسه كزعيم دينى هو المسيا ، **وليس كإلّه وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان** . إذ لو كان عند أى من بطرس أو يهوذا أى فكرة عن أن يسوع إلّه ، لما كان هناك أى تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع (حسبما تذكره الأناجيل بعد القبض عليه والذهاب به إلى بيت رئيس الكهنة) . وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا . **إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائنا إلّهيا له كل القوى .**

إن الحقيقة المزعومة بأن يسوع مات من أجل خطايانا ، وبهذا وقانا لعنة الله ، إنما **هى مرفوضة قطعا** . إن الاعتقاد فى أن يسوع كان له هذه النتيجة ، إنما يعنى الطعن فى أخلاق الله .

إن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة ، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة . إن الأب الحكيم والمحب لبنيه ، لا يهلك الولد المخطىء الذى يقع فى المعاصى ، لكنه يعلمه ويقوده فى طريق الحكمة والفضيلة .

إن الموت الدموى على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإلّه ، لهو أمر مناقض للحلم الإلّهى والصبر والود والمحبة التى لا نهاية لها .

– إن الموحدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر . إنه لو كان إلّها فإن المثل الذى ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة ، حيث أنه يمتلك قوى لا نملكها . إن الإنسان لا يستطيع تقليد الإلّه » (١) .

*

---

(١) المرجع السابق – ج ٢٧ – ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

وراجع أيضا كتاب المؤلف : **طائفة الموحدين من المسيحيين** .

بولس جعل المسيح لعنة :

إنها صدمة كبيرة ولا شك ، ولكن هكذا كان فكر بولس الذى سطره فى رسائله ، إذ يقول فى فلسفته لفكرة صلب المسيح كفارة عن خطايا البشر :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، **إذ صار لعنة لأجلنا** ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة – غلاطية ٣ : ١٣ » .

والمكتوب الذى يشير إليه بولس ، هو ما جاء فى توراة موسى خاصا بالموتى الذين يُصلّبون على خشبة : « إذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلاتبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ، **لأن المعلق ملعون من الله** ، فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلٰهك – تثنية ٢١ : ٢٢ – ٢٣ » .

لقد كان الصليب وسيلة إعدام منذ آلاف السنين ، فقد استخدمه الفراعنة والرومان وغيرهم . وكم حدثت من ثورات على قوى البغى الحاكمة ، وقُهر الثائرون وماتوا بطرق وحشية وعلقت جثثهم على الخشب أيامًا وليالى ، فهل كان هؤلاء الثائرون على مظالم قوى البغى ملعونين من الله لمجرد كونهم قد علقوا على أخشاب ؟! .

إن بعض العلماء يرى أن بولس قد أخطأ فى فهم فقرة التثنية هذه الخاصة بلعن المعلقين على الخشبة ، وأن فلسفتها على هذا النحو تعتبر شيئا غريبا على الفكر اليهودى . يقول هيام ماكوبى : « إن الفكرة التى تقول بأن كل من علق على خشبة يكون ملعونا ، إنما هى فكرة غريبة على فكر اليهود الفريسيين ، وأن معلميهم لم يفسروا فقرة التثنية (٢١ : ٢٣) بهذا المفهوم . وحتى لو كان الشخص المعلق مذنبًا بجريمة عقوبتها الموت ، ما كان يعتبر تحت لعنة بل على العكس من ذلك ، إذ أنه قد كفَّر عن جريمته بتعرضه للإعدام . ولقد كان الأحبار يفسرون فقرة التثنية (٢١ : ٢٣) هكذا : يعلق جسد من نفذ فيه حكم الإعدام على قائم لفترة قصيرة ، ولكن لابد من إنزاله من على ذلك القائم

فلا يبيت عليه ليلاً ، لأنه لو بقيت جثته معـلقة ليلاً ، فإن هذا يجلب لعنة من الله .

وبعبارة أخرى ، فإن اللعنة لا تحل بمن نفذ فيه حكم الإعدام ، بل بأولئك المسئولين عن تعريض ذلك الجسد إلى الإهانة . وفى تفسير آخر : يعتبر تجديفاً على الله أن يسمح بتعليق جسد من نفذ فيه حكم الإعدام ، لأن جسد الإنسان خلق على صورة الله (١) ، كما تقول التوراة فى سفر التكوين ١ : ٢٧ » .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يذهب فيها بولس بعيداً عن المضمون الحقيقى لفقرات يقتبسها من أسفار العهد القديم ويفلسفها وفق هواه . فلقد سطر فى رسائله : « لأنه مكتوب : سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء – (١) كورنثوس ١ : ١٩ » .

إن بولس يشير هنا إلى ما جاء فى سفر أشعياء ٢٩ : ١٣ – ١٤ ، الذى يقول : « قال السيد : لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الله معلمة . لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا . **فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه** » .

من الواضح أن هذا لم يكن حكما عاما يقضى « بإبادة حكمة الحكماء ورفض فهم الفهماء » – كل حكماء وكل فهماء الجنس البشرى – كما فهم بولس خطأ . إنما كان ذلك عقابا مؤقتا نزل بالشعب الإسرائيلى خلال فترة معينة من تاريخه . فلقد ظهر أشعياء فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو القرن الذى شهد القضاء التام على مملكة إسرائيل على يد الأشوريين عام ٧٢٢ ق . م . وضاع هذا الشعب الإسرائيلى بحكامه وحكمائه وفهمائه وجهاله ، وكان ما قاله أشعياء متعلقا بضلال بنى إسرائيل وضياعهم .

إن **لعنة المسيح** التى اخترعها بولـس يترتب على التصديق بها نتائج

---

(1) Hyam Maccoby , The Myth Maker PP - 67 - 8 .

خطيرة ، لا يحتاج تقريرها إلى مجهود فكرى أو معالجة لغوية عميقة . فالقول بأن كل من علق على خشبة ملعون ، يعنى أن كل مصلوب ملعون . ولقد قال بولس **أن المسيح صار لعنة** لأنه علـق على خشبة الصليب ، أى أن **المسيح ملعون** ! .

فهل يقبل أى مسيحى – تحـت أى ظرف من الظـروف – هذا القـول وما يترتب عليه ؟! .

إن بولس يقول : « **مع المسيح صُلبت** ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى – غلاطية ٢ : ٢٠ » .

ويقول : « يسوع المسيح الذى به **قد صلب العالم لى** ، **وأنا للعالم** – غلاطية ٦ : ١٤ » .

والتفسير الشائع لمثل هذه الأقوال ، أن المسيحيين يصلبون مع المسيح – تبعا لقدوتهم بولس – فيحيون الحياة الحقة . **وحيثما يوجد مصلوبون ، يوجد ملعونون** ! ومن له أذنان للسمع فليسمع ، لعله يفهم ! .

أما بعد : لقد بين المسيح مستقر الملعونين يوم الدينونة – وهو معلوم بالضرورة عند كل المؤمنين بالله – حين يقال لهم : « **اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته** – متى ٢٥ : ٤١ » .

فيومئذ يؤذن ﴿ **مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾

[سورة الأعراف : ٤٤] .

* *

هل قال بولس : « كل الكتاب موحى به من الله » ؟!

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : « **كل الكتاب هو موحى به من الله** ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر – (٢) تيموثاوس ٣ : ١٦ » .

وهو ما تقوله بقية التراجم العربية الأخرى ، وكذلك ترجمة لوى سيجو الفرنسية .

أما ترجمة الملك جيمس الإنجليزية (١) فيلاحظ أنه قد أضيف إلى المتن فعل الكينونة بحروف مائلة (تحته خط فى الحاشية) ، فغير المعنى تماما حيث جعل هذه الترجمة تتفق مع الترجمات سالفة الذكر .

هذا – وتتفق الترجمة القياسية المراجعة فى المتن مع التراجم العربية إلا أنها تشير إلى أنه هناك ترجمة أخرى لهذه الفقرة تقول (٢) : « **كل كتاب موحى به من الله هو أيضا نافع للتعليم والتوبيخ ...** » .

وهو ما تقوله ترجمة « إنجليزية اليوم » وحاشيتها (٣) .

وهو ما تقوله أيضا الترجمة الفرنسية المسكونية فى حاشيتها (٤) .

نحن الآن أمام ترجمتين : الأولى – تقليدية متعارف عليها تقول : « **كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم .....** » .

وأما الثانية – فقد بدأت تظهر فى حواشى التراجم الحديثة وتقول :

---

(1) All scripture is given by inspiration of God , and is profitable for doctrine , for reproof , for correction , for instruction in righteousness " .

(2) " Every scripture inspired by God is also.. " .

(3) " Every scripture inspired by God is also useful .. " .

(4) " Toute Écriture , **inspirée de Dieu** , est utile.. " .

« **كل كتاب موحى به من الله** هو أيضا نافع للتعليم ... » .

إن الفرق بين المعنيين كبير،ولا يمكن أن تكون إحداهما مرادفا للأخرى . وذلك أن القول بأن : « **كل كتاب موحى به من الله** ، نافع للتعليم » هو حقيقة أولية يسلم بها كل المؤمنين ، ولا تحتاج إلى برهان .

*

أما القول الثانى بأن : « **كل الكتاب هو موحى به من الله** ، ونافع للتعليم » فهنا وقفة لابد منها ، تبدأ بالتساؤل عن أى كتاب يتحدث بولس .

فمن المعلوم أن رسائل بولس كانت هى أول كتابات قبلت فيما بعد فى العهد الجديد ، وأن كتاباته سبقت كتابة أقدم الأناجيل – إنجيل مرقس – بأكثر من ١٥ عاما ، وإن رسائله لم تلق قبولا شعبيا قبل نهاية القرن الأول الميلادى ، أما الأناجيل الأربعة فقد تأخر قبول سلطتها إلى ما بعد عام ١٧٠ ميلادية .

وأخيرا – وهو الأهم – نجد أن هذا العدد الذى يتحدث فيه بولس عن « الكتاب الموحى به من الله » قد سبقه العددان ١٤ ، ١٥ .

وهما يقولان : « أما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفا ممن تعلمت .

وأنك من الطفولية تعرف **الكتب المقدسة** القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع – (٢) تيموثاوس ٣ : ١٤ – ١٥ » .

من كل ما سبق يتبين أن « الكتاب الموحى به من الله » . والذى تحدث عنه بولس إنما هو أسفار العهد القديم ، الذى كان اسمه آنذاك : « **ناموس موسى والأنبياء والمزامير** – لوقا ٢٤ : ٤٤ »أو يقال لها باختصار : « **الكتب** – لوقا ٢٤ : ٤٥ » .

وهى أشياء يمكن أن يكون تيموثاوس قد تعلمها منذ طفولته ، حيث يقول العهد الجديد للكاثوليك فى تقديمه لرسالة بولس إلى تيموثاوس : « كانت **أمه أونيقة وجدته لأمه لؤيس يهوديتين** .. وكانت أمه وجدته من أهل التقى **فعلمتاه الأسفارالمقدسة منذ نعومة أظفاره** » .

والآن بعد أن أجبنا على التساؤل الخاص بالكتاب الذى تحدث عنه بولس باعتباره وحيا من الله ، وأن المقصود هو **أسفار العهد القديم** ، ننتقل الآن إلى السؤال الثانى والبدهى ، وهو : هل كل أسفار العهد القديم موحى بها من الله ؟ .

إن الإجابة هنا يسيرة وحاضرة يترجمها واقع نظرة العالم المسيحى إلى هذه الأسفار . فدون التعرض لما بها من أخطاء علمية وتاريخية وعقائدية وتحريف لنصوص – وكل هذه أصبحت حقائق مسلما بها من قبل السلطات الدينية وعلماء المسيحية – **فيكفى الإشارة إلى أن الأسفار السبعة التى تقبلها الكنيسة الكاثوليكية تحت اسم « الأسفار القانونية الثانية » ، يرفضها البروتستانت وغيرهم باعتبارها ليست من وحى الله .**

إذن العالم المسيحى يسلم بأن « **كل الكتاب** » الذى تحدث عنه بولس بأنه « موحى به من الله » هو فى معتقد الكثير من المسيحيين « **غير موحى به من الله** » .

ولما كانت اللغة الإغريقية التى نقلت عنها سائر الترجمات الأخرى تسمح بأن تكون ترجمة تلك الفقرة هى : « **كل كتاب موحى به من الله هو أيضا صالح للتعليم** » صار من المؤكد أن هذه هى الترجمة الوحيدة الصادقة لأنها : تتفق واللغة ، وتتفق وحقائق الأمور .

شتان بين أن يقال : « كل الكتاب هو موحى به من الله ... » فى صورة تعميم خاطىء ، يختلط فيه الحابل بالنابل ، وبين أن يقال : « كل كتاب موحى به من الله ، هو صالح للتعليم » . فهذا القول الأخير إنما هو حقيقة بدهية لا تحتاج إلى بحوث لغوية أو علمية لإثبات صحتها .

القول الحق إذن هو : « كل كتاب موحى به من الله ، هو نافع للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب فى البر » .

*

هذا – ومن الجدير بالذكر أن أى من كتبة الأناجيل الأربعة لم يقل أبدا أن

ما يكتبه قد جاء وحيا من الله ، وذلك خلافا للكثير من أسفار العهد القديم التى تقرر فى مطلعها أنها وحى من الله إلى نبيه . ومن أمثلة ذلك : « كلم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بإنى الإله القادر على كل شىء .

ثم كلم الرب موسى قائلاً : ... ... – خروج ٦ : ٢ : ١٠ » .

« رؤيا أشعياء بن آموص ... اسمعى أيتها السموات واصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم ... – أشعياء ١ : ١ – ٢ » .

« قول الرب الذى صار إلى يوئيل ... – يوئيل ١ : ١ » .

« رؤيا عوبديا . هكذا قال السيد الرب ... – عوبديا ١ : ١ » .

كذلك تقرر آيات القرآن وسوره أنها وحى من الله :

﴿ الر ، كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] .

﴿ الٓمٓ * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ [سورة آل عمران : ١ – ٣] .

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة النور : ١] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[سورة الكهف : ١١٠] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ، وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾

[سورة الأنبياء : ٤٥] .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل : ١٠٢] .

أما الأناجيل ، فإن موقفها مختلف تماماً بالنسبة للوحى . فها هو لوقا يبدأ كتابة سلسلة من الخطابات إلى عزيز لديه يدعى ثاوفيلس ، يحدثه فيها عما ترامى إليه من أخبار المسيح ، ويبعثها إليه على التوالى حسبما تساعده الظروف . وتمر عشرات السنين بعد رحيل المسيح وعشرات وعشرات بعد موت لوقا الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ولم يسعده الحظ برؤيته ولومرة واحدة لأنه كان من الجيل الثانى بعد جيل المسيح ، فتعمد السلطات الكنسية إلى تجميع رسائله وتقسيمها إلى قسمين ، تسمى الأول منها : إنجيل لوقا ، وتسمى الثانى : سفر أعمال الرسل .

لقد كان الرجل صادقاً مع نفسه ومع صديقه ثاوفيلس حين بدأ رسائله بما نجده الآن فى مقدمة إنجيله التى يقول فيها : « إذ كان كثيرون قد أخذوا **بتأليف قصة** فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء **معاينين وخداما للكلمة** . رأيت أنا أيضا ، **إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق** ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به – لوقا ١ : ١ – ٤ » .

ويتضح من ذلك عدة أمور :

– أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف قصص عن المسيح وبشارته ومن المعلوم أن القرنين الأول والثانى من الميلاد قد انتشرت فيهما أناجيل كثيرة . وتذكر لنا دائرة المعارف البريطانية أسماء العشرات من تلك الأناجيل .

– وإن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية إلى عزيزه ثاوفيلس الذى قيل أنه كان ثريا من الإسكندرية أو موظفاً رومانيا كبيرا .

– وأن لوقا كتب رسالته إلى ثاوفيلس بدافع من نفسه ومحاكاة للآخرين : (رأيت أنا أيضا) ، وأنه عمل فى رسالته بجهده الخاص : (تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق) .

– ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سيكون سفرا مقدسا يستخرج منه

ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه كان رسالة شخصية لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

– وأنه لم ير المسيح ، وإنما جاءته معلومات عنه من (الذين كانوا معاينين وخداما له) .

وخلاصة القول أن ما سطره لوقا من رسائل وجمعت معا لا تعدو أن تكون كتابا مؤلفا بكل معنى الكلمة . فهى مجهود بشرى أولا وأخيرا ولا علاقة لها بالوحى . إن هذا ما يقوله لوقا فى بعض رسائله هذه ، والتى صدرت بها السلطات الكنسية الجزء الثانى من رسائله ، وجمعته تحت اسم : سفر أعمال الرسل .

إن لوقا يقول ، حسب ترجمة الكاثوليك : « ألفت كتابى الأول يا ثاوفيلس فى جميع ما عمل يسوع وعلم ، منذ بدور رسالته إلى اليوم الذى رفع فيه إلى السماء ... » .

وتقول ترجمة البروتستانت : « الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ... » .

لقد كان لوقا صادقا مع نفسه حين قرر أن ما سطره كان من تأليفه . من يجرؤ – بعد ذلك – على الإدعاء بأنه كتب بإلهام من الروح القدس ؟! .

أو من يجرؤ بعد ذلك على ضم كتابات لوقا وغيره إلى قائمة الكتب التى قيل أن بولس قال عنها : كل الكتاب موحى به من الله ، وقد بينا خطر تلك المقولة ؟! .

وها هو كاتب إنجيل متى يقرر أن ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم .. – ١ : ١ » .

وليس فى هذا الكلام أو فى غيره ما ينص على أنه وحى من الله وما يقال عن إنجيل متى يقال عن إنجيل مرقس بالنسبة لموضوع الوحى ، إلا أن كاتب إنجيل مرقس – الذى لم ير المسيح مثل لوقا – قرر أن يسمى كتابه إنجيلا ، فقال : « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله – ١ : ١ » .

وجدير بالذكر أن « بعض المراجع القديمة الموثوق فيها تحذف :

ابن الله [1] » أى أن السطر الأول من إنجيل مرقس يقرأ هكذا : « بدء إنجيل يسوع المسيح » .

وهكذا تحدث عمليات الإضافة والحذف عبر السنين .

وبالنسبة لإنجيل يوحنا ، فقد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وهو الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله ، إذ يقول : « وآيات أخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه ، لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت **لتؤمنوا بأن المسيح هو ابن الله** – ٢٠ : ٣٠ – ٣١ » .

ولا علاقة بهذا الكلام بموضوع الوحى ، وقل مثل ذلك على رسائل التلاميذ [2] .

* *

(1) D . Nineham : Saint Mark , P . 56 .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول بولس ومسيحيته ، راجع كتاب المؤلف : حقيقة التبشير .

الملحق رقم (٩)

المرأة فى الأديان

١ - المرأة فى اليهودية

المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

إن هذا ما تقوله قصة خلق آدم وزوجه وحياتهما الأولى فى الجنة ، والتى انتهت بالطرد منها بسبب معصية الأمر الإلٰهى بعدم الأكل من الشجرة المحرمة . فالقصة تقول إن الحية أغرت المرأة بالأكل من تلك الشجرة « فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان » .

من هنا كانت المرأة هى التى بدأت بالمعصية ، ومن ثم كانت هى المسئولة عن تلك الخطيئة الأولى . ولقد حاول آدم أن يبرىء نفسه من مسئولية مخالفة أمر الله ، وألقى باللائمة على امرأته فقال لربه : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الإلٰه للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟! فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت » .

ولقد ترتب على ذلك إنزال العقاب الإلٰهى بهؤلاء المذنبين الثلاثة وهم آدم وامرأته والحية على النحو التالى :

« قال الرب الإلٰه للحية : لأنك فعلت هذا ؟ ملعونة أنت من جميع البهائم . . على بطنك تسعين ، **وترابا تأكلين كل أيام حياتك** (١) ! .

---

(١) هل تأكل الحية ترابا؟! إن الحية تأكل الفئران والبيض ونحوه .

وقال للمرأة : تكثيرا أكثر اتعاب حبلك **بالوضع تلدين أولادا** [1]

وإلى رجلك يكون اشتياقك ، **وهو يسود عليك** ! .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك .. ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك .

وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منها ، عارفا الخير والشر . **والآن لعله يمد مده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد** فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها – تكوين ٣ : ٦ – ٢٣ » .

ويقول علماء الكتاب المقدس ، فى تعليقهم على بعض ما جاء فى هذه القصة : « **المرأة لا تكون شريكة للرجل ، ولا تساويه ، بل تمسى فتنة الرجل . وهو يستعبدها لتلد له الأولاد** » [2] .

المرأة . إذن – حسب هذه الرواية ، هى سبب بلاء الجنس البشرى ، وعقوبتها أن يستعبدها الرجل .

* *

ولقد مرت آلاف السنين بعد خلق آدم وزوجه وطردهما من الجنة وتكاثر البشر على الأرض وكونوا مجتمعات ودولا . ثم جاء موسى – فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد – بالتوراة وفيها تشريعات تقول لبنى إسرائيل :

– **المرأة تباع وتشترى :**

« **إذا باع رجل ابنته أمة** ، لا تخرج كما يخرج العبيد – خروج٢١ : ٧ » .

---

(١) إن إناث الحيوانات كالخيل والحمير والأنعام والسباع تلد جميعا بالأوجاع . فهل كان سبب ذلك معصية ارتكبتها جداتها عند بدء الخليقة ؟! .

(٢) أسفار الشريعة الخمسة .

« قال بوعز للشيوخ : **راعوث المرآبية .. قد اشتريتها لى امرأة - راعوث** ٤ : ٩ - ١٠ » وراعوث هذه جدة داود .

- نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :

« إذا حبلت امرأة **وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام .. ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها .**

وإن ولدت أنثى ، تكون نجسة أسبوعين .. ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها - لاويين ١٢ : ١ - ٥ » .

- الميراث للذكور فقط :

« إذا كان لرجل امرأتان : أحدهما محبوبة والأخرى مكروهة ، **فولدتا له بنين** ، المحبوبة والمكروهة .. فيوم يقسم **لبنيه** ما كان له ، لا يحق له أن يقدم **ابن** المحبوبة بكرا على **ابن** المكروهة البكر . بل يعرف **ابن المكروهة** بكرا ليعطيه نصيب اثنين .. له حق البكورية - تثنية ٢١ : ١٥ - ١٧ » .

يحتوى هذا التشريع - الذى فاز فيه الأبناء بالميراث دون البنات بل دون بقية الإناث من زوجات وأمهات - على السماح بتعدد الزوجات .

- ولا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور :

وحين كان موسى يقسم الأرض بين بنى إسرائيل كان التخصيص للذكور فقط ، فاحتجت بنات صلفحاد لأن أباهن كان قد توفى « ولم يكن له بنون . (وقلن) لماذا يسقط اسم أبينا من عشيرته لأنه ليس له ابن ، فاعطنا ملكا فيما بين أعمامنا .. فكلم الرب موسى قائلا : تعطيهن ملك نصيب بين أخوة أبيهن ، وتنقل نصيب أبيهن اليهن .

وتكلم بنى إسرائيل قائلا : **أيما رجل مات وليس له بنون ، تنقلون ملكه إلى ابنته . وإن لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لإخوته . وإن لم يكن له إخوة تعطون ملكه لاخوة أبيه .وإن لم يكن لأبيه أخوة ، تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته فيرثه** - عدد ٢٧ : ١ - ١١ » .

وهكذا ، عندما لا توجد ابنة للميت يتحول ميراث الأرض إلى الذكور فقط حتى إذا لم يكن هذا الذكر سوى نسيبه ، ولقد كان هذا مصدر إلهام لما صدر من تشريعات للمـيراث فيما بعد . فها هى مجموعة **الأحكام العبرية** تقول :

– المادة ٣١٣ : « **إذا لم يكن للميت ولد ذكر ، فميراثه لابن أخيه .** وإن لم يكن له ابن ابن ، فالميراث للبنت . وإن لم يكن له بنت ، فالميراث لأولاد البنت . وإذا لم يكن له حفدة فلأولاد أولادهم الذكور . وإذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور ، فالميراث لبنات الحفدة » .

– المادة ٤٢٦ : « إذا ماتت الزوجة **ولم تعقب ذرية من الأولاد** ، فزوجها وارثها الشرعى » .

– المادة ٤٣٣ : « **ليس للمرأة أن تطلب الطـلاق مهما كانت عيوب زوجها ، حتى لو ثبت عليه الزنا** » .

– المادة ٤٣٤ : « **متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشرة زوجته** فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الإسراع إلى طلاقها » .

* *

٢ - المرأة فى المسيحية

يقول ميخائيل هارت فى كتابه : **المائة أعظم الناس أثرا فى التاريخ** ؛ عند الكلام عن المسيح : « **إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس** . ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذا الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادىء الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنسانى . أما مبادىء اللاهوت فهى من صنع القديس بولس . فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية **ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح** كما أن القديس بولس هو الذى ألـف جانبا كبيرا من **العهد الجديد** ، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد .

ولهذه الأسباب ، فإن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح .

وليس من المنطق فى شىء ، أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولاً عن الذى أضافته الكنيسة أورجالها إلى الديانة المسيحية . فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه » .

ولقد رأينا بعضا من ذلك عند الكلام عن بولس (الملحق رقم ٨) نحن - إذن - أمام عقائد ووجهات نظر مختلفة ، فلنبحث وضع المرأة فى ظل كل منها .

*

أ - المرأة فى مسيحية المسيح

جاءت أغلب تعاليم المسيح حول المرأة فى **موعظة الجبل** ، إذ يقول : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزن . وأما أنا فأقول لكم : **إن كل من ينظر إلى**

امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها وألقها عنك . لأنه خير لك إن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

وقيل : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم : **إن من طلق امرأته ، إلا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى - ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى** - متى ٥ : ٢٧ - ٣٢ » .

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق ، **فهل من مصلحة المرأة المطلقة ألا تتزوج مطلقا؟!** .

ولقد علم المسيح تلاميذه وتابعيه أن يطبقوا شريعة موسى فى كل شىء ، فهو لم يأت لينقضها ، ولم يأت بتشريع جديد يعالج به مختلف نواحى الحياة . فلقد كان آخر تعليمه لهم : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون - متى ٢٣ : ٢ - ٣ » .

وبينما كان يتحدث إمام جمع كبير من الإسرائيليين ، « قال له واحد من الجمع : **يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . فقال له : يا إنسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما** - لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤ » .

ليس في المسيحية - إذن - تشريع خاص للميراث ، وما جاء فى شريعة موسى خاصا بذلك ينطبق على المسيحيين ، **وخلاصته : ألا ترث الأنثى إلا عند فقد الذكور** .

ولقد كان المسيح رحيما بالمرضى ، فشفى كثيرا من أصحاب الأمراض والعاهات ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء . فشفى حماة بطرس (متى ٨ : ١٤ - ١٥) ، والمرأة التى كانت تنزف سنوات طويلة . وقد قال لها : « **ثقى** يا ابنة . إيمانك قد شفاك (متى ٨ : ٢٠ - ٢١) » .

على أن كتبة الأناجيل قد عرضوا لنا مواقف غريبة للمسيح مع أمه « **فقد** كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك .. ولما فرغت الخمر **قالت أم**

يسوع له : ليس لهم خمر . **فقال لها يسوع : مالى ولك يا امرأة** ! – يوحنا ٢ : ١ – ٤ » .

« وفيما هو يكلم الجموع : **إذ أمه وأخوته** قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : هو ذا **أمك وأخوتك** واقفون خارجا طالبين أن يكلموك . **فأجاب وقال للقائل : من هى أمى ، ومن هم أخوتى ؟ ! ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى واخوتى** . متى ١٢ : ٤٦ – ٤٩ » .

أما حسب رواية لوقا ، فإنه « أجاب وقال لهم : أمى وأخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها – ٨ : ١٢ » .

ولقد كانت مثل هذه المواقف موضع تعليق لكثيرين ، مثل : **ول ديورانت الذى يقول عن المسيح أنه « ينصحنا بنبل وشرف الا نحكم (ندين) حتى لا يحكم علينا (ندان) ، ولكنه يلعن الناس والمدن التى لم تؤمن برسالته ، ويلعن شجرة التين التى لم تكن تحمل ثمرا . ولعله كان قاسيا بعض القسوة على أمه** . وكان يتصف بحماسة النبى العبرانى المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذى يمتاز به الحكيم اليونانى »[١] .

لقد جاء المسيح رسولا إلى بنى إسرائيل ، وكان حريصا على إعلان ذلك فى كل مناسبة . فحين أرسل تلاميذه للتبشير ، حصر مهمتهم فى الشعب الإسرائيلى فقط ، لدرجة أنه أخرج السامريين الذين يؤمنون بموسى والتوراة من نطاق رسالته . وفى هذا يقول الإنجيل : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا **وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** . وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه **قد اقترب ملكوت السموات** – متى ١٠ : ٥ – ٧ » .

ولقد كان من حرص المسيح على بيان أن رسالته لا تختص إلا ببنى إسرائيل ، أنه لم يسارع إلى تقديم يدا العون والرحمة لامرأة ملهوفة استغاثت به

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت – ج ١١ – ص ٢١٨ .

أن يرحمها ويشفى ابنتها المريضة ، لا لشىء إلا لأن المرأة لم تكن من بنات إسرائيل . فقد « خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيداء . وإذا **امرأة كنعانية** خارجة من تلك التخوم ، صـرخت إليه قائلة : **ارحمنى يا سيد يا ابن داود . ابنتى مجنونة جدا . فلم يجبها بكلمة** ! .

فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : **اصرفها لأنها تصيح وراءنا** .

فأجاب وقال : لم **أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** .

فأتت وسجدت له قائلة : **يا سيد ، أعنى** .

فأجاب وقال : **ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين** (الإسرائيليين) **ويطرح للكلاب** (كل من ليسوا من بنى إسرائيل) ! .

فقالت : نعم يا سيد . والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها .

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك . ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة – متى ١٥ : ٢١ – ٢٨ » .

وإذا كان غير الإسرائيليين كلابا . فماذا بقى ؟! .

* *

ب – المرأة فى مسيحية بولس

المرأة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، فألهب الفكرة وبرأ آدم صراحة من المعصية وتعـدى حدود الله ، فقال : « **لست آذن للمرأة أن تعلّم ، ولا تتسلط على الرجل** ، بل تكون فى سكوت .

لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى – (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ – ١٤ » .

المرأة دون الرجل :

« أريد أن تعلموا إن رأس كل رجل هو المسيح . **وأما رأس المرأة فهو**

الرجل . ورأس المسيح هو الله .. كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطي فتشين رأسها ، لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه . **إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها .. الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل** – (١) كورنثوس ١١ : ٣ – ٩ » .

« **لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن** كما يقول الناموس أيضاً .

ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا ، **فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة** – (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤ – ٣٥ » .

« أيها النساء : اخضعن لرجالكم ، كما للرب . **لأن الرجل هو رأس المرأة** ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة .

كما تخضع الكنيسة للمسيح . كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء – أفسس ٥ : ٢٣ – ٢٤ » .

بولس والأسرة :

لقد دعا بولس إلى عدم الزواج إن أمكن فقال :

« **حسن للرجل أن لا يمس امرأة** . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها .

أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) – (١) كورنثوس ٧ : ١ – ٧ » .

إن تعاليما كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة فى العالم كله وإلحاق الأذى بالمرأة التى هى نواة الأسرة ، والنتيجة الحتمية لذلك هى خراب العالم ، خلافا لما أمر الله به . فلقد كانت تعاليم الله لأول أسرة على وجه الأرض – آدم وحواء – تقول لهم : « **اثمروا ، وأكثروا ، وأملاؤا الأرض** – تكوين ١ : ٢٨ » .

وكانت هى ذاتها التعاليم لنوح وبنيه بعد الطوفان ، إذ قال لهم : « **اثمروا ، وأكثروا ، واملاؤا الأرض** – تكوين ٩ : ١ » .

وبالنسبة للأرامل قال بولس : « لا تكتب امرأة فى سجل الأرامل **إلا التى بلغت ستين سنة** ولم تتزوج غير مرة واحـدة .. **أما الأرامل الشابات فلا تقبلهن** ، فإنهن إذ أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى الزواج ، واستوجبن القضاء ، لأنهن نقضن عهدهن الأول – (١) تيموثاوس ٥ : ٩ – ١٢ » .

وتقول **ترجمة العهد الجديد للكاثوليك** ، تعليقا على رأى بولس فى الأرامل : « **دعا بولس الأرامل فى (١) كورنثوس ٧ : ٨ – ٤٠ إلى الامتناع عن الزواج . ولكن الخبرة علمته بأنه الأفضل للأرامل الشابات أن يتزوجن** » وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحريم عبر القرون .

* *

جـ – المرأة فى ظل الكنيسة

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعار من طبيعتها وكيانها البشرى . ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الإحباط فيها ، حتى ولو كانت تتعلق بزى ترتديه . فلقـد كتـب **ترتليان** – فى القرن الثالث – رسـالة تعالج زى المرأة صدَّرها إلى « أفضل المحبوبات إخواته فى الإيمان » ثم ما لبث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام إلى هجوم يذهل ، إذ يقول « إذا وجـد إيمان على الأرض عظيم مثل ما نتوقع أن ننعم به فى السماء ، فما كان لأى واحدة منكن أفضل إخواتى المحبوبات اللاتي منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب وعلمـت حقيقة منزلتها – أن تشتهى زيها كثير البهجة . **لقد كان حريابها أن تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن مكفرا عما ورثته حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الأبدى للإنسانية .. ألستن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء ؟!** .

إن قضاء الله على جنسكن بالعقوبة موجود فى هذا العصر (الولادة بألم) وبالتالى فإن الشعور بالإثم يجب أن يكون موجودا أيضا .

أنتن المدخل الذى يلجأ إليه الشيطان : فانتن باكورة من ذاق الشجرة المحرَّمة ، وانتن أول من تمرد على القانون الإلٰهى ، وانـتن تلك المرأة التى أقنعته (بالأكل من الشجرة) ، إذ لم يكن لدى الشـيطان القدر الكافى من الجسارة لكى يهاجم (آدم) **لقد دمـرتن بمثل هذه السهولة الرجل الذى هو صورة الله . وبسبب استحقافكن للعقوبة - التى هى الموت - كان على ابن الله أن يموت أيضاً** » (١) .

ثم كان تساؤل : لماذا خلق الله النساء ؟!

تقول كارن ارمسترونج : « إن أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما إذا كان هناك سبب ، على الإطلاق ، من أجله خلق الله النساء !

فليس فى إمكان المرأة أن تكون صـديقا ورفيقا معينا للرجل ، ومع ذلك ، إذ كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الأفضل كثيرا أن يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة . فلقدكانت العلة الوحيدة التى من أجلها خلق الله النساء هى إنجاب الأولاد . ولقد كان **لوثر** يشارك فى هذا الرأى ، فلم يهتم بتأثير كثرة الولادة على النساء ، إذ كتب يقول : **إذا تعبت النساء ، أو حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم . دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فقد خلقن من أجل ذلك** » (٢) .

*

ثم كان تساؤل أحمق : هل المرأة إنسان ؟!

« لقد شاركت البروتستانتية تماما فى كره النساء الذى ورثه الآباء إلى الكنيسة الكاثوليكية . فعندما **ناقش اللوثريون ، فى وتنبرج ،مسألة ما إذا كانت النساء حقيقة من بنى الإنسان ، لم يكونوا يناقشون شيئا** جديدا .

---

(1) Karen Armstrong :THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN , PP . 54 - 5 .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ - ٦٢ .

فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء فى خطة الله (لخلاص البشر) .

ولقد كان **توما الاكوينى** متحيرا تماما ، مثله مثلما كان **أوغسطين** من قبل ، فيما إذا كان هناك داع على الاطلاع ، إن يخلقها (الله) ، فكتب يقول : **فيما يختص بطبيعة الفرد ، فإن المرأة مخلوق معيب وجدير بالازدراء . ذلك إن القوة الفعالة فى منى الذكر تنزح إلى إنتاج مماثلة كاملة فى الجنس الذكرى ، بينما تتولد المرأة عن عيب فى تلك القوة الفعالة ، أو حدوث توعك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى .**

إن القول بأن طبيعة الفرد فى النساء معيبة ، إنما هى فكرة التقطها من آراء أرسطو فى علم الأحياء . **فالذكر هو الأنموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هى رجل معيب .**

وفى مجمع ماسون ، فى القرن السادس ، كان على الأساقفة أن يصوتوا على مسألة : ما إذا كان للنساء أرواح أم لا ؟ ! ولقد فاز اقتراح الموافقة باغلبية صوت واحد ! » (١) .

*

هل الزواج عقوبة للمرأة ؟ ! :

« إن **لوثر** الذى يجعل النساء منبوذات قسرا فى وحشة ومنفيات من عالم الرجال ، يرى فى الزواج عقابا للمرأة . لقد كتب يقول : **إن هذا العقاب ينبع أيضاً من الخطيئة الأصلية ، وتتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها . إن السلطة تبقى فى يد الرجل ، تجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله ، فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة . ويشن الحرب ، ويفلح الأرض ، ويبنى ويزرع .. أما المرأة ، فعلى العكس من ذلك ، فهى مثل مسمار يدق فى حائط . يجب أن تبقى فى المنزل**

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢ – ٦٤ .

وترعى الحاجات المنزلية ، مثل إنسان حرم القدرة على إدارة تلك الشئون التى تختص بالدولة ... بهذه الطريقة تعاقب حواء » .

لم يتغير شيء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر بالاختلاف الفكرى والعقائدى . **فلا تزال المرأة هى حواء .**

إن الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق فى حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهى بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على رأسها ، **لا يسعى وراءها من أجل إقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية »** [1] .

*

خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا ! :

« على الرغم من أن الكنيسة فى الغرب قد لا تسمح لعذاراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين فى أن **العذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا** . لقد كتب **جيروم** يقول :

بما أن المرأة خلقت للولادة والأطـفال ، فهى مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . **ولكن عنـــدما ترغب المرأة فى خدمة المسيح أكثر من العالم ، فعندئذ سوف تكف عن أن تكون امرأة ، وستسمى رجلا .**
(تعليق جيروم على رسالة بولس إلى أهل أفسس) .

وإن **امبروز** واضح تماما فى أنه **لكى تحصل المرأة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة الأصلية ، فيجب أن تصبح ذكرا** . لقد كتب يقول : **تلك التى لا تؤمن إنما هى امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها (الأنثوى) بينما تلك التى تؤمن إنما تتقدم نحو الرجولة الكاملة** . وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها وغوايات الشباب وثرثرة العجائز .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٤ – ٢٧٥ .

فبالنسبة **لامبروز** ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير إنسانا كاملا بالغا سن الرشد ، أى تصير ذكراً » (١) .

*

مذابح مروعة للنساء ! :

دأب الفكر الكنسى الغربى على إثارة جو متأجج بكراهية المرأة والخوف منها ، استمد جذوره الأولى مما تحكيه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس عن الخطيئة الأولى التى تضع مسئوليتها فى عنق حواء .

ثم جاءت فكرة الخطيئة الأولى المتوارثة التى غرسها بولس فى المسيحية – خلافا لتعاليم المسيح – وتعهَّدها آباء الكنيسة ، حتى كان أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية .

تقول كارن **ارمستررونج** : « إن أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح إلا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة .. وكثيرا ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : **تعقب المتشيطنات وقمعهن** ، بسبب الجنون الشهير الذى تفجر فى أوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، خاصا بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل بهن .. لقد دمرت تلك الحملات ، إلى أبعد حد ، العلاقة بين الجنسين فى مجتمعنا (الغربى) **ففى نهاية القرن الخامس عشر ، كان واضحا تماما أن الكنيسة قد طبعت أوربا برعب من الأمور الجنسية وكراهية للنساء وتفجرت كلها فى الحملات المتفرقة لتعقب المتشيطنات وقمعهن .**

وطوال هذه الحملات كان يعتقد أن هناك شيطانًا يمارس الجنس مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم الحضون .

كما كان يعتقد أن تلك النساء المتشيطنات يمكنهن الطيران فى الهواء ليلا

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٩ .

لحضور الاحتفال بيوم الراحة الأسبوعى ، حيث يعبدن الشيطان ، وينغمسن فى شعائر وحشية ، ويمارسن طقوساً جنسية عربيدية . وكان يعتقد كذلك ، أن هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ، إذ كن فى تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى . كما كانت لهن القدرة على إثارة العواصف وإتلاف المحاصيل وإحداث العجز الجنسى للآخرين وإصابتهم بالعقم والموت .

لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية . واعتقد كثير من الناس بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات ، وإن الواجب يفرض عليهن قتل الآلاف منهن . **ومن الصعب الآن معرفة عدد النساء اللاتى قتلن خلال الجنون الذى استمر مائتى عام .. (وكمثال) نادراً ما تركت أية امرأة على قيد الحياة فى بعض القرى السويسرية** »(١) .

*

إنها خرافة وثنية ! :

« إن الاعتقاد الوثنى القديم بأعمال التشيطن هذه ، تسلم معموديته المسيحية **فى عام ١٤٨٤ عندما أصدر البابا انوسنت الثامن** مرسوما بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه أن قلقا جنسيا انتشر فى ألمانيا بصورة وبائية . فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت زوجاتهم عن الحمل . وقد أرجع ذلك إلى النساء المتشيطنات اللاتى أثَّرن – بقوة السحر – فى الجيران .

عندئذ كلف البابا اثنين من الآباء الدومينيكان هما : **يعقوب شبرنجر** ، **وهينرش كريمر** ، بتولى هذا الموضوع . ولقد كانت نتيجة عملهما المشترك هو إصدار **دليل عمل** بعنوان : **مطرقة المتشيطنات** . لقد كان كتيبا الغرض منه مساعدة **المحققين** فى تحرى أعمال المتشيطنات ، ثم أصبح المصدر الرئيسى **لديوان التفتيش** ، حيث تكررت منه تسع عشرة طبعة » .

ويحاول **شبرنجر** فى هذا الكتيب أن يبرهن على أن النساء قابلات لإغواء

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨ – ٩١ .

الشيطان أكثر من الرجال ، لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات ، ثم هو يطور نظرية **اكويناس** التى تقول بأن النساء هن أساسا مخلوقات بشرية مشوهة . لقد كتب **شبرنجر** يقول :

يجب ملاحظة أن هناك عيبا فى تكوين المرأة الأولى ، وحيث إنها من خلال هذا العيب تكون حيوانا مشوها فإنها دائما تخادع ، وهذا ما تبينه دراسة أصل كلمة : « **أنثى** » **وتاريخها** (فى اللغات الأوربية) .

ذلك أن كلمة Femina تتكون من شقين هما : Fe - Minus ، فالكلمة تتضمن معنى النقص ، نظرا لأنها ضعيفة أبدا لا تستطيع التمسك بالإيمان والمحافظة عليه . (مطرقة المتشيطنات ص ٤٤) .

كذلك كتب شبرنجر يقول :

« إن كل **أعمال شيطنة المرأة إنما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع . فهناك** (حسب الكتاب المقدس) **ثلاثة لا تشبع ، وأربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم** (سفر الأمثال : ٣٠) .

وبناء على ذلك فإن النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان (مطرقة المتشيطنات ص ٤) .

وتستمر **مطرقة المتشيطنات** فى إلقاء مسئولية الشهوة الجنسية على النساء ! إن **شبرنجر** يشكر الله بحرارة على أن الرجال متحررون من أعمال الشيطنة : **فحيث إن الرب كان راضيا أن يحمل به فى البطن ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز .**

إن الانطباع المذهل من هذا القول هو أن **الله لم يخلص النساء أو لم يمت من أجلهن ، ولهذا أسلمهن إلى الجنس ، ومن ثم إلى الشيطان** »[1] .

*

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣ – ٩٥ .

أثر الإسلام فى احترام الأم والزوجة :

تقول كارن **ارمسترونج** : « إن الأم الإيطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى أسرتها ، **إنما تشبه فى ذلك النساء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط مثل الأمهات العربيات المسلمات** ، أكثر إلى حد كبير من شبهها لإخواتها المسيحيات فى إنجلترا أو ألمانيا ، حيث لا تتمتع تلك الأمهات بنفس المكانة ، وفى أسبانيا التى تأثرت بقوة بالفتح الإسلامى فقد تأثرت بالمفاهيم الإسلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء .

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فإنما ذلك دليل على شدة احترامه لهن بما يجعله يربأ بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطر الدنىء .

وهناك شواهد على أن النساء الغربيات اللاتى استقر بهن المقام فى مملكة أورشليم ، إبان الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، **قد اكتسبن احتراماً من المؤكد أن إخواتهن فى أوربا لم يتمتعن به فى القرن الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النساء ، وأنهن قد اكتسبن هذا الاحترام من اتصالهن بالإسلام . وقد بدأ الكثير من نساء الصليبيين فى ارتداء الحجاب ، بعد أن رأين المكانة والاحترام اللذان يوفرهما للنساء المسلمات** »[1] .

أما بعد ، فهذا قليل من كثير مما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع الخطير .

وكما قال المسيح دائماً : من له أذنان للسمع فليسمع .

* *

(١) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٦٣ .

٣ - المرأة فى الإسلام

آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى :

رأينا كيف جعل الكتاب المقدس المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ، وصار ذلك معتقداً ثابتاً فى اليهودية والمسيحية . أما فى الإسلام فإن الموقف يختلف تماما ، **ذلك أن القرآن يقرر - بصريح العبارة - مسئولية آدم عن تلك الخطيئة** ، وإن شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة . فالله يقول فى القرآن :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ، أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ : هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ، **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [سورة طه : ١١٥ - ١٢٢] .

لقد استغفر آدم وامرأته ربهما بعد هذه الخطيئة ، إذ :

﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] .

وما كان الله ليضيعهما ، وله - سبحانه - من الأسماء الحسنى ما إذا دعى به ، فإنه يفعل فعله مثل : الغفور الرحيم :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] .

ليس فى الإسلام - إذن - خطيئة أصلية تتحمل إثمها المرأة ، وليس فيه قول بخطيئة يتناقلها الأبناء عن الآباء . فما جاءت مثل تلك المزاعم إلا فى مسيحية بولس ، والمسيح منها براء .

إن المسئولية فى الإسلام فردية . وهو ما يتفق وعدل الله :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [سورة المدثر : ٣٨] .

﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾

[سورة النجم : ٣٨ - ٤٢] .

« النساء شقائق الرجال » :

ليس هذا كلام كاتب هذه السطور ، إنما هو حديث سيدنا رسول الله ﷺ وتعاليمه للمسلمين . وهو حديث رواه أبو داود وهو يكفى - بالإضافة إلى ما سبق بيانه عن مسئولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى - ليكون ملخصا لمكانة المرأة فى الإسلام .

*

إكرام الأم أضعاف إكرام الأب :

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر سابقًا :

« والقرآن لا يقف فى هذا المقام عند حد التسوية بين (الوالدين) فى واجب الإحسان والإجلال ، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد إلى ما للوالدات من جهود مضنية فى تربية الأبناء ، **ليس شىء منها للوالد** . وترى ذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ ﴾ [سورة لقمان : ١٤] .

وفى قول الرسول – عليه السلام – جوابا عن سؤال رجل : **من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟** .

قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أبوك** »[1] .

ولقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الوالدين ، **حتى ولو كانا كافرين** ويقتضى الإحسان إليهما : دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة الطيبة .

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [سورة لقمان : ١٥] .

ولقد اعتبر الإسلام السعى على الوالدين وإكرامهما **بمثابة الجهاد فى سبيل الله** . فعن عبد الله بن عمر أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يسأله أن يجاهد . فقال له النبى : **أحىٌّ والداك** ؟ قال : نعم قال : **ففيهما جاهد** . (رواه البخارى) .

*

الترحيب بالأنثى منذ ولادتها :

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ، ويعتبرها هبة من الله تماثل هبة الذكر تماماً . بل إنه ليجعلها فى الترتيب سابقة للذكر :

﴿ لله مُلْكُ السَّمَاوَات وَالأَرْض ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْيُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وإِنَاثًا ، وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الشورى : ٤٩ – ٥٠]

وكل هبة إنما هى نعمة من الله تتطلب الحمد والشكر . ولا يكون الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل إنه يتمثل فى الحفاظ عليها ، ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها .

---

(١) الإسلام : عقيدة وشريعة . الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت . ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

ولقد سفّه القرآن أعداء الأنثى فى كل زمان ومكان ، فقال :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ ، أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٨ ، ٥٩] .

*

المرأة أهل للمسئولية الكاملة :

« إن الإسلام يقرر أيضا فى تربية الفطرة التى خلقت عليها المرأة وهى : الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم ؛ أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها وعن جماعتها . **وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل :**

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [سورة النساء : ١٢٤] .

وليس فى الإمكان ما يؤدى به **معنى المساواة** أوضح من هذه الكلمة التى تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة دون تفاضل أو سلطان : ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ .

وللمرأة الحق فى الوصية – مثل الرجل سواء بسواء – وهذا يعنى تمتعها بكامل الأهلية :

﴿ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا ﴾ [سورة النساء : ١٢] .

وليس أدل على مساواة المرأة فى المسئولية كالرجل سواء بسواء ، من أن **للنساء حق البيعة كالرجال** . وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتى تعتبر من أخطر الأمور فى الإسلام :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ

وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الممتحنة : ١٢] .

إن أهلية المرأة للبيعة تعنى تمتعها بالأهلية السياسية .

*

مسئولية المرأة العامة :

« **لقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين أخيها الرجل فى تلك المسئولية** ، كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ٧١] .

إن مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى أكبر مسئولية فى نظر الإسلام ، **وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .**

وإذن فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اعتمادا على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، إذ أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب .

فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن » (١) .

*

فى بيت الزوجية :

– أقر الإسلام حق المرأة فى عقد الزواج ، وبدون موافقتها يكن العقد باطلا . وبذلك أصبحت المرأة طرفا فى العقد بدلاً من وليها .

(١) المرجع السابق . ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

ولقد روى البخارى أن امرأة تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية ، زوَّجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر إلى رسول الله ﷺ فشكت له أن أباها زوّجها من رجل وهى كارهة له ، فخيَّرها النبى بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه) .

– ولم تعتبر الشريعة الإسلامية المهر ثمنا للمرأة كما كان فى الجاهلية **وفى شرائع سابقة** ، وإنما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته صداقا ، دليل صدق على جدِّية مشروع الزواج .

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [سورة النساء : ٤] .

يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية : كان الرجل فى الجاهلية إذا زوّج ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ونزلت الآية .

– إن المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه . والرجل سكن للمرأة ، تأمن فى كنفه وتسعد بجواره . وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص لا مثيل له فى سائر العلاقات الأخرى . فهى علاقات متبادلة ، وعلاقات تكامل لا مجال للحديث فيها عن سيادة أو تسلط أو امتلاك . فهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم : ٢١] .

وهناك علاقة عقلية يحكمها العدل :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨] .

﴿ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمعَلَّقَةِ ﴾ [سورة النساء : ١٢٩] .

– ويؤكد القرآن على ضرورة معاشرة المرأة بالمعروف : فإذا كان الزواج قد

جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فإن خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال لابد أن تفعل فعلها فيما بين الزوجين من علاقات قد يصل بها إلى حد الكراهية . وهنا يحضُّ القرآن الرجل على التمسك بزوجته إلى أقصى حد ، ويغريه بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ١٩] .

– والمرأة راعية البيت ، كما أن الحاكم راع للمحكومين . فقد قال رسول الله ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته** » . (رواه البخارى) .

وإذا جئنا إلى موضوع الإنفاق ، وما يقال أحيانا عن إمساك بعض الرجال أيديهم مقابل إسراف بعض الزوجات ، نجد حديثا لعائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسبت ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا . (رواه البخارى) .

ولم يرد نص فى الشريعة الإسلامية يلزم المرأة بالإنفاق على نفسها من مالها إن كان له مال ، أو يلزمها بالإنفاق على زوجها وأولادها إن كان الزوج معسرا أو عاجزاً عن العمل وكانت هى موسرة .

وقد أخذ رجال الفقه الإسلامى بالنصوص التى تلزم الرجل بالإنفاق على زوجته ، **وأعطوها حق الافتراق عنه إذا قصر فى الإنفاق عليها .**

ولم تبح الشريعة للرجل أن يأكل من مالها إلا إذا كان عن طيب نفس منها : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [سورة النساء : ٤] .

– وإذا كانت الشورى مبدأ إسلاميا أساسيا للمجتمع الكبير مجتمع الشعب ، فإنها كذلك أساس المجتمع الصغير مجتمع الأسرة ، وقد جاء فى صريح القرآن فيما يتعلق بحق إبداء الرأى فى فطام الطفل ورضاعه . فلم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستئثار به دون الرجوع إلى صاحبه :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ، لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٣] .

حقوق موزعة على الزوجين :

إرضاع على الزوجة ، ونفقة على الزوج ، دون إرهاق ولا مشقة ، ودون مضارة أو إيذاء . ثم تشاور فى الرأى وتراض من جهة الرضاع .

*

مشاكل تهدد الحياة الزوجية :

لا يخلو بيت من مشاكل ، وإن اختفت حينا فلابد أن تظهر فى أحيان كثيرة . فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس .

وفى سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضع القرآن تعاليماً للزوجين تساعد على تحقيق ذلك ، **إن صدقت عزيمتهما** .

وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالآتى :

١ – الزوجان يبدآن الإصلاح :

فهما أعلم بما بينهما ، وهما أقدر الناس على تدارك الشقاق وفتور العلاقات بينهما . وقد تكفى كلمة عتاب رقيقة ، واعتذار عن هفوة ، فى إصلاح ما بينهما .

﴿ وَإِن امْرَأَةٌ خَافَتْ من بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ، وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ، وأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ، وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [سورة النساء : ١٢٨] .

٢ - الحكمان يحاولان الإصلاح :

وإذا عجز الزوجان عن الإصلاح بينهما ، وسارت الأمور إلى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجى ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ، يفترض فى كل منهما الحرص على استمرارية الحياة الزوجية ﴿ وَإِنْ خفْتُمْ شقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيراً ﴾ [سورة النساء : ٣٥] .

٣ - أبغض الحلال إلى الله الطلاق :

وإذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فلا مناص من اللجوء إلى الطلاق الذى سماه رسول الله : أبغض الحلال إلى الله .

على أن الطلاق فى الإسلام لا يعنى الفرقة الدائمة بين الزوجين إلا فى حالة خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة بينهما إلى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا يساعد على تهدئة النفوس الثائرة وتضميد الجراح الحقيقية والمتوهمة . وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجل كبح الفرقة الدائمة كالآتى :

(أ) الطلاق فى طهر :

فقد طلق ابن عمر امرأته وهى حائض فقال له رسول الله ﷺ أن يراجعها ، فردها . ثم قال ﷺ : **إذا طهرت فليطلق أو يمسك .**

(ب) الرجوع عن الطلاق فى فترة العدة :

تعرف العدة بأنها المدة التى تتربص فيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها كى يحل لها الزواج من غيره . وقد أمر الله بإحصاء العدة نظرا لأهميتها فى

الحياة الزوجية ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ [سورة الطلاق : ١] .

وبالنسبة للمرأة العادية ، ذات الحيض المنتظم ، فقد حدد القرآن العدة بثلاث قروء ؛ فقال :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] .

والقرء – لغة – هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا مدة ثلاثة قروء ، أى بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق ، قبل أن يحل لها الزواج بآخر .

ولقد أمر الله بإبقاء الزوجة المطلقة فى منزل الزوجية خلال فترة العدة ، إلا فى حالة ترديها فى البذاءة والفحشاء . بل إن الله كرمها إذ سمى منزل الزوجية **بيتها** ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لعدَّتهِنَّ ، وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لاَ تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ١] .

ولا شك أن الحكمة من فترة العدة ومعيشة الزوجين خلالها فى بيت الزوجية الذى سماه الله بيتها – من غير معاشرة جنسية – إنما لتكون سبيلا إلى استعادة النفوس صفاءها وتضميد الجراح .

وخلال فترة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته وإعادتها لعصمته دون حاجة إلى عقد جديد أو مهر جديد : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨] .

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت هذه طلقة .

(جـ) الطلاق مرتان :

لقد سمح الله بإيقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتها مراجعة زوجته دون عقد ومهر ، كما يحق له أن يعود إلى الزواج منها إذا انقضت عدتها ولم يراجعها فيها ولم تتزوج هى من رجل آخر .

أما إذا أسرف الزوج على نفسه وأوقع بزوجته الطلقة الثالثة ، فقد بانت منه بينونة كبرى . وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله – سبحانه – بالمعروف والإحسان بين الزوجين :

﴿ الطَّلاَقُ مَرَّتَان ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَان ، وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِه ، تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنَ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ، فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠] .

(د) حقوق للزوجة :

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها فى عقد الزواج ، كما يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضى ، بعد إثبات استحالة دوام العشرة مع زوجها .

وأيضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث فى زوجها إذا مات قبل أن تنقضى عدتها .

وأخيرا فمهما تكن مرارة وضع الزوجين بعد افتراقهما بالطلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما . فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، وما ذلك على الله بعزيز . بل لعل هذا الأمل هو ما يبثه قول الله فى النفوس التى اكتوت بنار الفراق :

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ، وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾

[سورة النساء : ١٣]

*

مسئوليات الرجل بعد الطلاق :

فرض الله على الرجـــال معاشرة زوجاتهن بالمعـروف ، فقال سبـحانه ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [سورة النساء : ١٩] ٠

وإذا حدث طلاق ، ثم ارجع الرجل زوجته إلى عصمته عاد القرآن ليؤكد من أخرى ضرورة إمساكها بمعروف ولـيس من أجل إيـقاع الضرر بها ، فقال : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَـعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾

[سورة البقرة : ٢٣١] ٠

أما إذا كان الفراق ، فقد أمر الله أن يكون ذلك أيضا بالمعروف والإحسان ، فقال : ﴿ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣١] ٠

﴿ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] ٠

ولما كان المعروف والإحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقى يتمثل فى المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادى يتمثل فى البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذى طلق زوجته **بدفع تعويض مادى لها سماه متعة** ، تقوم حياتها به فى فترة ما بعد الطلاق إلى أن يجعل الله لها مخرجا من أزمتها ٠ وقد اعتبرت هذه المتعة **حقا للمطلقة** ، فقال سبحانه : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤١] ٠

﴿ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ ، حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[سورة البقرة : ٢٣٦ – ٢٣٧] ٠

وبالنسبة للإسكان والإنفاق ، وخاصة ذوات الأحمـال منهن ، يقول الله ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ،

وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ، وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ٦ – ٧] .

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق فى التوراة على مجرد ورقة مكتوبة يعطيها الرجل لمطلقته . ثم جاءت تعاليم الإنجيل لتمنع الطلاق إلا لعلة الزنا ، حسب قول متى . أما فى القرآن ، فهناك مواجهة لواقع الحياة الذى برهن على حاجة الحياة الزوجية إلى اللجوء إلى الطلاق كمتنفس أخير وعلاج بغيض لابد منه فى بعض الحالات . لكن هذا العلاج تسبقه خطوات وإجراءات تكبح اللجوء إليه ، ثم تعقبه تبعات ومسئوليات يتحمل الرجل الغرم المادى فيها بوجه عام .

*

الأعباء المالية للرجل :

ذكرنا فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التى تلزم الشريعة الإسلامية الرجل بتحملها وخاصة فى مجال الإنفاق على بيت الزوجية ، بل هو مسئول قبل ذلك عن تدبير المسكن المناسب لزوجته . ونريد الآن استعراض أهم الأعباء المالية التى يلتزم بها الرجل فى حياته الزوجية والأسرية .

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن الشريعة الإسلامية قضت « أن يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة وبنين وأقارب .

وأن تحتمل المرأة تدبير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم .

وفى ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة أن المرأة أسعد حظا من الرجل فى نظر الإسلام : فقد أوجب لها مهرا لاحد لأكثره : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء : ٢٠] .

وأوجب لها على الرجل : نفقتها وكسوتها وجميع ما تحتاج إليه بالمعروف لبيتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ [سورة الطلاق : ٧] .

وأوجب لها إذ ما طلقت : **نفقة العدة** ، على نحو ما وجبت لها فى حياتها الزوجية . وأوجب لها **المتعة** ، وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤١] .

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التى تنشأ من مكافحته فيها ثم على والديه وأقاربه إن كانوا ضعافا أو فقراء . وإذن فبماذا يمتاز الرجل عنها ؟! » (١) .

إن الرجل مطالب – إذن – بكافة الأعباء المالية ، أما المرأة ، الزوجة ، فلا تطالب بأى شىء . إن جادت بشىء من مالها فذاك فضلها ، وإن أمسكت فذاك حقها ، ولا تثريب عليها . إن العدل يقضى بأن يؤخذ هذا فى الاعتبار عند الميراث .

* *

ميراث المرأة :

نص القرآن على مبدأ توريث الإناث كطرف مقابل للذكور ، بصرف النظر عن حجم التركة ، فقال :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ، نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [سورة النساء : ٧] .

إن ذلك إجمال أعقبه تفصيل وتحديد لنصيب كل وارث ، فنعلم منه :

أولاً : نص القرآن الكريم على المساواة فى الميراث بين الذكر والأنثى فى حالات :

١ – فيما بين الأخ والأخت لأم فى إرثهما من أخيهما ، إذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث :

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ .

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلكُلِّ وَاحِد مِّنْهُمَا السُّدُسُ ، فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ من ذَلكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فى الثُّلُث ، منْ بَعْد وَصيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ، وَصيَّةً مِّنَ اللهِ واللهُ عَليمٌ حَليمٌ ﴾ [سورة النساء : ١٢] ٠

٢ – فيما بين الأب والأم فى إرثهما من ولدهما إن كان له ولد :

﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾

[سورة النساء : ١١] ٠

ثانيا : نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى فى حالات :

١ – فى حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكوراً وإناثًا :

﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلاَدِكُمْ ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١] ٠

٢ – فى حالة التوارث بين الزوجين :

حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هى منه :

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ، منْ بَعْد وَصيَّةٍ يُوصينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ، وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ، مِّن بَعْد وَصيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [سورة النساء : ١٢] ٠

ويلزمنا فى هذه الحالة أن نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق الرجل وقد أعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التوريث هنا حسب قاعدة : ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ** ﴾ فهذا عدل لا مراء فيها ، اقتضته الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة فى صورة مالية ٠

*

لقد أبطل الإسلام قاعدة : لا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور ، والمعمول بها فى الشرائع السابقة ، فأصبحت البنات يرثن فى أبيهن المتوفى سواء ترك أبناء ذكورا أم لا ، وترث الأم فى ابنها المتوفى مع أبيه إن كان لا يزال على

قيد الحياة ، أو بدون أبيه إن كان قد توفى ، وترث الزوجة فى زوجها المتوفى كما يرث الزوج فى زوجته المتوفاة .

وصار حقا على المرأة المسلمة أن تحمد الله على ما آتاها من فضله ، وبعض هذا الفضل أن لها نصيبا مفروضا فى الميراث تقيم به حياتها – والمال عصب الحياة كما يقال – وتثبت به كيانها كإنسان كرمه الله . فالذكر والأنثى فى ميزان الحق سواء . إن هذا ما يقرره القرآن فى قوله الكريم :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ، بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٥] .

*

شهادة المرأة :

يتوقف الحكم فى مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشهود وما تتم به البينة من أدلة قوية لا يتسرب إليها الاحتمال ، تتفاعل جميعها فى فكر القاضى ، فيصدر حكمه وفقا للقانون وهو مستريح الضمير .

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصداقية متوقفة على خبرة الشهود ، ونوعيتهم ، لا على عددهم . مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحة التزييف .. الخ ، والله يقول : ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [سورة فاطر : ١٤] .

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة :

١ – فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما :

وفى هذا يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل – سواء بسواء – فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجته وليس له على ما يقول شهود :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ

أحَدهمْ أرْبَعُ شَهَادَات باللهِ ، إنَّهُ لَمنَ الصَّادقينَ ، وَالْخَامسَةُ أنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْه إن كَانَ منَ الْكَاذبينَ * وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أنْ تَشْهَدَ أرْبَعَ شَهَادَات باللهِ ، إنَّهُ لَمنَ الْكَاذبينَ * وَالْخَامسَةَ أنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إن كَانَ منَ الصَّادقينَ ﴾

[سورة النور : ٦ – ٩] .

أربع شهادات من الرجل يعقبها استمطار لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ؛ **ويقابلها ويبطل عملها** أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من الصادقين » (١) .

٢ – وهناك مواقف تكون فيها شهادة امرأتين مكافئة لشهادة رجل :

وذلك فى مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما إلى ذلك . ولقد جاء هذا فى آية الدين التى تعتبر أطول آية فى القرآن :

﴿ يَا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنتُم بدَيْنٍ إلَى أجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ، وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتبٌ بالْعَدْل ، وَلاَ يَأْبَ كَاتبٌ أن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلل الَّذى عَلَيْه الْحَقُّ وَلْيَتَّق اللهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ منْهُ شَيْئًا ، فَإن كَانَ الَّذى عَلَيْه الْحَقُّ سَفيهًا أوْضَعيفًا أوْ لاَ يَسْتَطيعُ أن يُملَّ هُوَ فَلْيُمْللْ وَليُّهُ بالْعَدْل ، وَاسْتَشْهدُوا شَهيدَيْن من رِّجَالكُمْ ، فَإن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْن فَرَجُلٌ وَامْرَأتَان ممَّن تَرْضَوْنَ منَ الشُّهَدَاء أن تَضلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى ، وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذَا مَا دُعُوا ، وَلاَ تَسْئَمُوا أن تَكْتُبُوهُ صَغيرًا أوْ كَبيرًا إلَى أجَله ، ذَلكُمْ أقْسَطُ عندَ اللهِ وَأقْوَمُ للشَّهَادَة وَأدْنَى ألاَّ تَرْتَابُوا ، إلاَّ أن تَكُونَ تجَارَةً حَاضرَةً تُديرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ألاَّ تَكْتُبُوهَا ، وَأشْهدُوا إذَا تَبَايَعْتُمْ ، وَلاَ يُضَارَّ كَاتبٌ وَلاَ شَهيدٌ ، وَإن تَفْعَلُوا فَإنَّهُ فُسُوقٌ بكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ، وَاللهُ بكُلِّ شَىْءٍ عَليمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] .

يقول الشيخ محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على الحقوق ، لا مقام قضاء بها . والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤١ .

المتعاملين على حقوقها ، وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى . فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو البينة . وقد حقق العلامة **ابن القيم** أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق . ويظهره هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم . ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطـمأن . والآية جاءت على ما كان مألوفا فى شأن المرأة – ولا يزال أكثر النساء كذلك – لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبايعات . واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة » .

٣ – وهناك مواقف تكفى فيها شهادة المرأة وحدها :

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيها شهادة المرأة وحدها . وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية .

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ،وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾

[سورة البقرة : ٢٢٨] .

فهذه من المواقف التى تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتمادا على صدق إيمانها ، واستثارة للوازع الدينى ، وازع الضمير اليقظ .

ودل هذا على أن المرجع فى هذا إليهن ، لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن ، ويتعذر إقامة البينة غالبا على ذلك ، فرد الأمر إليهن ، وتوعدهن فيه لئلا يخبرن بغير الحق ، إما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها فى تطويلها ، لما لها فى ذلك من المقاصد » (١) .

*

(١) المرجع السابق : ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

عقوبة لحماية سمعة المرأة :

نص القرآن على عقـوبة لمن يتـعرض كذبا بالسـوء لسمعة المرأة ، تعرف **بحد القذف** ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحياة أسرتها ومستقبلها :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٤ – ٥] .

وقد عد رسول الله قذف المحصنات من الذنوب الكبائر، فقال : « (**اجتنبوا السبع الموبقات**) . قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، **وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » (رواه البخارى ومسلم) .

وما من شك فى أن شعوب أوربا ، **ونساءها بوجه خاص ، كانت فى أشد الحاجة لتطبيق حد القذف على أولئك الظلمة من أهل السلطة الدينية وأتباعهم** ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضد النساء عرفت باسم : **تعقب المتشيطنات وقمعهن** ، بزعم أن أولئك المضطهدات كن يمارسن الجنس مع الشيطان . ولم يكن من شهود سوى الشبهات ، وانتزاع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب الوحشى .

وإلا ، فأى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس الجنس مع الشيطان ؟! .

وبعد .. لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا البحث الخاص بمكانة المرأة فى الإسلام مما سطره قلم الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت – شيخ الأزهر السابق – وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتد إشعاعاتها العلمية والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الإسلامى ، لا بل أرجاء العالم كله . ويكفى التذكرة بأن أوربا لم تعرف

نظام **أستاذ الكرسى** فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، إلا نقلا عن الأزهر العريق .

كذلك اختتم بقول فضيلته : « وبعد .. فهذه عدالة الإسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة . **وهى عدالة تحقق أنهما فى الإنسانية سواء** »[1] .

* * *

(١) لمزيد من التفاصيل فى موضع المرأة فى الأديان ، راجع كتاب المؤلف : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام .

الملحق رقم (١٠)

شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

تقرر حقائق العلم الحديث مجموعة من المعطيات التى تتعلق بخلق الكون ومكوناته ، نذكر منها :

– الشمس نجم متوسط الحجم والعمر ، ويعتبر واحداً من بين ملايين – لا ، بل من بين بلايين – النجوم التى تملأ السماء . وقد انفصلت عنها أجزاء مختلفة الكتل والأحجام تعرف بالكواكب السيارة التى تدور حولها . وبنفس الطريقة انفصلت كتل أخرى من بعض الكواكب وصارت تدور حولها ، وتسمى هذه الكتل أقمارا ، فالأرض تعتبر بنتا للشمس ، كما يعتبر القمر ابنا للأرض .

– ولقد أدت دراسة الطيف الشمسى إلى الكشف عن ماهية العناصر الموجودة فى الشمس ، وتبين أن أكثر من ٦٠ ٪ من العناصر الأرضية المعروفة ثبت وجودها هناك . ومن الجدير بالذكر أن غاز الهيليوم اكتشف فى الشمس قبل معرفته فى الأرض بنحو عشرين عاماً .

– والشمس والنجوم كلها مضيئة بذاتها ، أما القمر فإنه منير نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على سطحه .

– للأرض حركة دورانية حول محورها مرة كل يوم ، ينتج عنها تعاقب الليل والنهار ، أو حدوث المساء والصباح .

كما أن للأرض حركة دورانية حول الشمس مرة كل عام ، ينتج عنها تعاقب الفصول الأربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف .

– للقمر دورة حول الأرض مرة كل شهر تقريبا .

وتنتظم شمسنا مع حشود هائلة من النجوم تكون فى مجموعها شكلا هندسيا بديعا كالقرص ، يعرف باسم المجرة . وبصورة أدق فإن المجرة التى تقع فيها شمسنا ترى على هيئة عدسة محدبة الوجهين ، لها دائرة استوائية تقسمها إلى نصفين متماثلين تماما . ويبلغ قطر المجرة ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية ، بينما يبلغ سمكها ١٠٠٠٠ سنة ضوئية وتقع الشمس – ومجموعتها ومنها الأرض – بين دفتى الحافة الرقيقة على بعد ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية من المركز ، وهى تسبح كغيرها من نجوم المجرة – التى تبلغ نحو ٤٠٠٠٠ مليون نجم ! حول المحور العمودى والسنة الضوئية = ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٠٠٠ ميلا (٦ مليون مليون ميلا) وفى الكون ملايين المجرات ، وقد أمكن إحصاء أكثر من ١٠٠٠ مليون مجرة ، تحتوى الواحدة منها – فى المتوسط – على ١٢٠ ٠٠٠ مليون نجم ! .

– إن وجود الشمس يجب أن يسبق مكونات الحياة الأرضية :

فحرارة الشمس لازمة لتبخير مياه البحار وتكوين السحب ثم نزول الأمطار . وضوء الشمس لازم لحياة النبات – وهو بالتالى لازم لحياة الحيوان والإنسان – ذلك أن اليخضور (الكلوروفيل) الموجود فى بلاستيدات النبات الأخضر يقوم باستقبال ضوء الشمس وتخزينه ، فتتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية تقوم بربط الماء مع ثانى أكسيد الكربون فى بنايات جزيئية صغيرة . ثم تترابط هذه فى دورة معقدة ، مكونة سكريات وأحماضا أمينية وبروتينا .. الخ .

هذا – ويبدأ « الكتاب المقدس » بالحديث عن عملية خلق الحياة على الأرض ، فيقول :

« فى البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه **وقال الله ليكن : نور ، فكان نور .**

ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة .

ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا .

وكان مساء وكان صباح : يومًا واحدا – تكوين ١ : ١ – ٥ » .

إن هذا يعنى أن اليوم الأول من أيام الخلق الستة قد شهد : خلق النور ، وتعاقب الليل والنهار لتكوين المساء والصباح .

ولما كان النور يأتى من الشمس ، وكان تعاقب الليل والنهار يحدث نتيجة لدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس ، فإن اللازم الذى لا مفر من التسليم به هو أن يكون خلق الشمس قد تم قبل ذلك .

لكنا نجد أن الشمس لم تخلق هى والقمر والنجوم والكواكب ، إلا فى اليوم الرابع – إذ يقول سفر التكوين :

« وقال الله لتكن أنوار فى جَلَد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنوار فى جَلَدِ السماء لتنير على الأرض . وكان كذلك .

فعمل الله النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل . وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض .. وكان مساء وكان صباح : **يوم رابعا** – ١ : ١٤ – ١٩ » .

كذلك نجد أن اليوم الثالث قد شهد خلق النبات على اختلاف أنواعه وثمره :

« وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبرز بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه .. **وكان كذلك** . فأخرجت الأرض عشبا وبقلا .. وشجرا يعمل ثمرا .. وكان مساء وكان صباح : يومًا ثالثا – ١ : ١١ – ١٣ » .

أى أن النبات خلق قبل خلق الشمس والنجوم ، وهذا أيضا يتنافى مع حقائق العلم المعروفة .

*

ومن المفهوم أن النورين العظيمين اللذين خلقا لحكم النهار ولحكم الليل

هما : الشمس والقمر . وهو ما صرح به المزمور ١٣٦ فى قوله : « الصانع أنوار عظيمة .. الشمس لحكم النهار .. والقمر والكواكب لحكم الليل » .

* *

هذا – ولقد قام علماء **الترجمة الإنجليزية المراجعة** (١) للكتاب المقدس وعددهم ٣٢ عالما متميزاً – بإخراج هذه الترجمة الحديثة بعد مجهودات حاولوا فيها تجنب الأخطاء التى وجدوها فى الترجمات الإنجليزية السابقة . وقد اشتملت هذه الترجمة على تصور لشكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس ، وضعوه فى نهاية الإصحاح الأخير – ورقمه ٣٤ – من سفر التثنية DEUTERONOMY ، وهو السفر الأخير من أسفار موسى الخمسة . وهو الشكل الذى نجده فى الصفحة التالية ، ومنه يلاحظ الآتى :

– الأرض قائمة على أعمدة تسمى أعمدة الأرض Pillars of the Earth ، وهذه تغوص فى لجج المياه ، وبذلك تقوم القطعة الأرضية على الماء .

– تعتبر **الجبال أعمدة السماء** **Pillars of the sky**

– تقع **الهاوية** Sheol فى قلب الأرض ، وهى مستقر أرواح الموتى .

– توجد مياه فوق جلد السماء

WATERS ABOVE THE FIRMAMENTS

– تحيط بكل ذلك : السماء مسكن الله

HEAVEN : THE DWELLING PLACE OF GOD

*

ولا يجد الإنسان صعوبة فى معرفة المصادر التى جاء منها هذا التصور الوهمى لشكل الكون . فلقد جاء من الصفحات الأولى من سفر التكوين ، التى تتحدث عن خلق السموات والأرض ،وقد رأينا بعضا من فقراتها .

---

(1) Revised Standard Version (R , S . V) .

كذلك جاء هذا التصور من فقرات متناثرة فى بقية أسفار « الكتاب المقدس » ، جاءت منها العناصر التى تصور شكل الكون مثل :

أعمدة الأرض : « للرب أعمدة الأرض ، وقد **وضع عليها المسكونة** – صموئيل الأول ٢ : ٨ » .

الأرض ممدودة فوق المياه « (الرب) الباسط الأرض **على المياه** – مزمور ١٣٦ : ٦ » .

المياه التى فوق جَلَد السماء : « وقال الله ليكن جَلَد فى وسط المياه . وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التى تحت الجلد **والمياه التى فوق الجلد** . وكان كذلك . **ودعا الله الجلد سماء** . وكان مساء وكان صباح : يوما ثانيا – تكوين ١ : ٦ – ٨ » .

« سبحيه يا سماء السموات ، **ويا أيتها المياه التى فوق السماوات** – مزمور ١٤٨ : ٤ » . « **المسقِّف علالية بالمياه** – مزمور ١٠٤ : ٣ » .

الهاوية :

« تنزلون شيبتى بحزن إلى **الهاوية** – تكوين ٤٢ – ٣٨ » .

« إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم ، **فهبطوا أحياء إلى الهاوية**،تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب – عدد ١٦ : ٣٠ » .

دائرة الأرض :

الرب « الجالس على **كرة الأرض** – ٤٠ : ٢٢ » .

وهنا وقفة .. ذلك أن الترجمة العربية لهذه الفقرة من سفر أشعياء تخالف حقيقة النص الأصلى الذى يتحدث عن **دائرة الأرض** ،وليس كرة الأرض .

فبمراجعة الترجمات المختلفة ، سواء فى اللغة الواحدة (الانجليزية مثلا) ، أو فى اللغات المختلفة (مقارنة الانجليزية بالفرنسية مثلا) ، نجد الآتى :

(أ) تراجم انجليزية :

- It is he that sitteth upen the circle if the earth . (King James Version) .

- It is he who sits above the circle of the earth . (Revised Standard Version) .

(ب) تراجم فرنسية :

- C'est Iui qui est assis au dessus du cercle de la terre . (Tr . L . Segond) .

- It trône au - dessus du cercle de la terre . (B . de . Jérusalem) .

(جـ) ترجمة ألمانية :

- Er thront uber dem Kreis der Erde (Nach der Ubersetzung Martin luthers) .

هذا ولقد اتفقت جميع هذه الترجمات على مصطلح : **دائرة الأرض** وليس كرة الأرض حسب الترجمة العربية المنحرفة ، وهذه الدائرة يقصد بها دائرة الأفق التى ترى بالعين المجردة . ولا يمكن الزعم بأنها تشير إلى أن الأرض كروية ، بأى حال من الأحوال .

ومهما كان الحال ، فمن الواضح أن القول بأن الأرض تقوم على أعمدة تغوص فى الماء ، إضافة إلى مكونات الكـون الأخرى الموجودة فى الشكل المرسوم ، ثم الجهل بحقيقة المجرات والحشود النجمية الأخرى .. كل ذلك يخالف تماما الحقائق العلمية التى أصبحت فى متناول الجميع ، بعد التقدم العلمى الهائل فى غزو الفضاء واستكشاف محتواه والإتيان كل يوم بالعجائب التى تشير جميعها إلى عظمة هذا الكون واتساعه فى حدود شبه لا نهائية ، وتؤكد بذلك عظمة الخالق اللانهائية .

* *

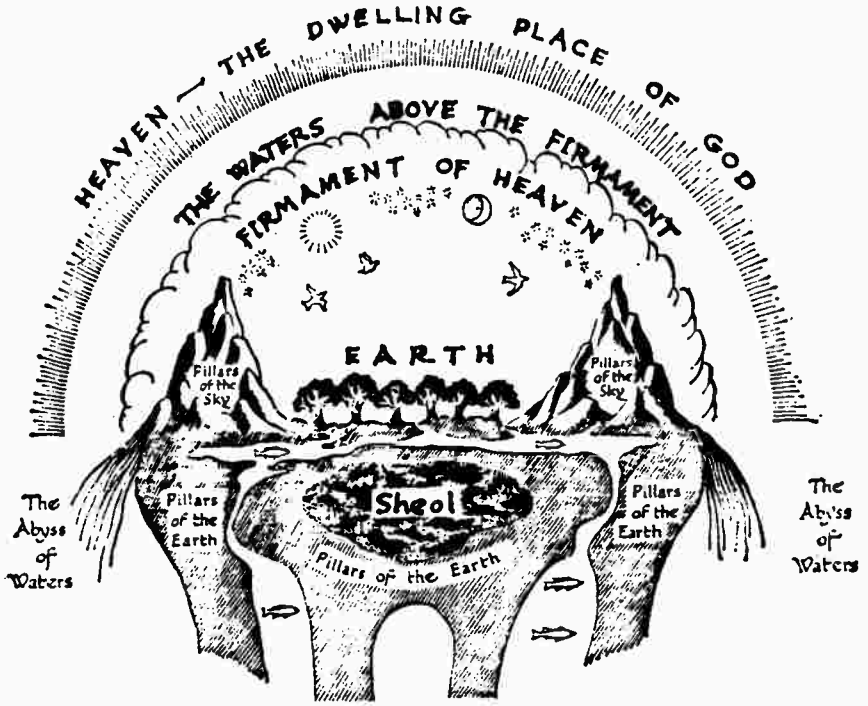

Early conception of the universe

"Blessed above sons be Asher;
let him be the favourite of his brothers,
and let him dip his foot in oil.
25 Your bars shall be iron and bronze;
and as your days, so shall your strength be.

26 "There is none like God, O Jesh'urun,
who rides through the heavens to your
help,

The death of Moses

34 And Moses went up from the plains of
Moab to Mount Nebo, to the top of Pisgah,
which is opposite Jericho. And the LORD
showed him all the land, Gilead as far as Dan,
2 all Naph'tali, the land of E'phraim and
Manas'seh, all the land of Judah as far as the
3 Western Sea, the Negeb, and the Plain, that

شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

القرآن وحقائق العلم

خلق السموات والأرض :

فى هذا المجال يقدم القرآن للناس حقائق أساسية عن عملية خلق هذا الكون وما فيه ، فنعلم أنه :

– فى البدء كان الكل شيئا واحدا ، فحدث الانفجار العظيم الذى خلق عالم متكاثرة :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٠] .

لقد نشرت صحيفة « **إندبندنت** » البريطانية يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ١٩٩٢ رسالة من أحد قرائها البريطانيين فى باب « بريد القراء » ترجمتها صحيفة « الأهرام » القاهرية ونشرتها بتاريخ ١ / ٥ / ١٩٩٢ كالآتى :

« من الدكتور ب . م – دودهى .

سيدى : هكذا عثر العلماء على برهان يؤكد نظريتهم عن « الانفجار الكبير » (حول بداية الكون) . أليسا مدهشا أنهم لم يفعلوا إلا أن أكدوا ما قاله القرآن منذ ١٤٠٠ سنة .

فقد جاء فى الآية ٣٠ من سورة الأنبياء ما نصه :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَات والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

أليس رائعا أن يبسط القرآن فى آية قصيرة واحدة حقيقة نظريات « الانفجار الكبير » وخلق الحياة .

توقيع

ب . م . دودهى ايكنهان ميدلسكس

ولا تعقب هنا إلا التذكرة بقول الحق فى القرآن ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] .

– والكون يتسع ويتمدد إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٤٧] .

– والنجوم فى السماء على أبعاد سحيقة ، لا يعلم قدرها إلا أولو العلم ولقد ذكرنا شيئًا من تلك الأبعاد فيما سبق :

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٥ – ٨٠] .

– وشكل الأرض شبه كروى ، فهى كالأدحية ، قريب من المجسم البيضاوى :

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات : ٣٠] .

فالأرض ليست تامة الكروية بسبب اختلاف طولى قطريها الاستوائى (الأكبر) والقطبى (الأصغر) . لكن الشكل العام لها يبدو كرويا من بعيد : ﴿ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ ﴾ [سورة الزمر : ٥] .

فمن المعلوم أن النهار يتجلى نتيجة لتشتت ضوء الشمس الساقط على جسيمات الغلاف الجوى المحيط بالأرض ، إذ يعتبر قشرة تحيط بها من الهباءات والذرات : والليل والنهار متعاقبان بسبب دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، ويحدثان فى الغلاف الجوى للأرض باستمرارية حثيثة . ومن ثم يكون تكويرهما إشارة إلى تكوير الغلاف الجوى – مكان تخليقهما – وبالتالى يكون إشارة إلى استنباط كروية الأرض .

فمعاجم اللغة تقول : « كار الرجل العمامة : أدارها على رأسه ، وكل دور كور . ويقال : كورت الشىء ، إذا لففته على جهة الاستدارة » .

– وللأرض حركة سبح فى الفضاء على العكس مما يحسبه الإنسان ، فحين

يقف أمام جبل يحسبه جامدا فى مكانه ، لكن القرآن يقرر بوضوح أن الجبال – وهى من المعالم الرئيسية فى الأرض – تمر مر السحاب . ومن ثم لابد أن تكون الأرض التى تحمل هذه الجبال تمر مر السحاب : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] .

– وصعود الإنسان فى طبقات الجو العليا ، دون احتياطات من أخطار هذا التصعيد ، يعرضه إلى خلل فى أداء الوظائف الحيوية ينتج عنه شعور بالضيق الشديد وغثيان وآلام حادة ونزيف . ويشير القرآن إلى ما يصيب الإنسان أثناء تصعيده فى طبقات الجو العليا ، فيقول :

﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإِسْلاَمِ ، وَمَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥] .

*

الرياح وحركة الحياة :

تعرف الريح بأنها حركة الهواء بالنسبة لسطح الأرض (يابسة وماء) . وتتعرض الأجزاء المختلف من سطح الأرض إلى مقادير غير متساوية من حرارة الشمس بسبب دوران الأرض وميل محورها وتغير موضعها بالنسبة للشمس أثناء السنة وبسبب اختلاف توزيع مناطق اليابسة والماء . ويؤدى هذا إلى نشوء تيارات الحمل على نطاق واسع حول الكرة الأرضية على شكل أحزمة ولا سيما فوق خط الاستواء ، فتتعرض المناطق التى تتجمع عندها الرياح لصعود فى الضغط مصحوب بالسحب والأمطار ، بينما تتعرض المناطق التى تبتعد عنها الرياح لانخفاض فى الضغط فتنعدم السحب والأمطار وتتكون بذلك الصحارى . وهكذا تتحكم الرياح فى شكل الحياة على الأرض بتحكمها فى مياه الأمطار .

وخلاصة القول فيما يتعلق بالرياح وحركة الحياة ، هو ما تقرره **دائرة معارف العلم والتكنولوجيا** ، إذ تقول :

« **إن الرياح تعتبر مسئولة - بطريق مباشر أو غير مباشر - عن إدارة ماكينة الحياة** »(١) .

وفي « الكتاب المقدس » . نجد الريح قد جعلت وسيلة نقل للإله ، تحمله فيها إلى حيث يريد ! .

« **طأطأ السموات ونزل . . طار ورؤى على أجنحة الريح** - صموئيل الثاني ٢٢ : ١٠ » .

« **هفّ على أجنحة الريح** - المزمور ١٨ : ١٠ » .

« المسقف علالية بالمياه . **الجاعل السحاب مركبته . الماشي على أجنحة الريح** - المزمور ١٠٤ : ٣ » .

وحين نذهب إلى **القرآن** ، نجد توافقا تاما بين ما يقوله عن أهمية الرياح في إدارة ماكينة الحياة وبين ما يقوله العلم الحديث . فلقد أكد القرآن في آيات كثيرة تلك الأهمية وقرر أن إرسال الرياح وتصريفها إنما هى من أعمال الله المباشرة من أجل استمرارية الحياة على الأرض .

فالحق يقول :

﴿ اللهُ الَّذى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فى السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خلاَله ، فَإِذَا أصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الروم : ٤٨] .

﴿ وَهُوَ الَّذى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِه ، حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا

---

(1) Mc Graw - Hill ENCYCLOPEDIA of SCIENCE and TECHNOLOGY , 1982 vol . 14 , p. 647 .

ثقالاً سُقْنَاهُ لبَلَد مَّيِّت فَأَنزَلْنَا به الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا به من كُلِّ الثَّمَرَات ، كَذَلكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف :] .

وللرياح تأثيراتها المباشرة فى عمليات التلقيح فى الطبيعة وتكوين الأجنة المائية التى تكبر تدريجيا مكونة قطيرات السحابة ومن ثم قطرات المطر . وكذلك تكوين الأجنة النباتية التى تنتج الثمار :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٢٢] .

ولهذا أشار القرآن إلى أن تصريف الرياح يعتبر فى حد ذاته آية من آيات الله الظاهرة فى هذه الحياة :

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٤] .

*

خلق الإنسان :

بدأ **علم الأجنة** فى أوربا متأخراً جداً ، فكانت بداية بحوثه العلمية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر . ويعرض لنا الدكتور كيث بور – أستاذ علم الأجنة بجامعة تورنتو – فى مؤلفه المشهور : الإنسان المتطور ، نبذة تاريخية لبحوث الأجنة فيقول :

« فى عام ١٦٥١ قام هارفى بدراسة أجنّة الدجاج باستخدام عدسات بسيطة ، وتوصل إلى القول بأن الأجنة جاءت من إفرازات الرحم . وفى عام ١٦٧٧ استخدم العالمان هام وليفين هوك ميكروسكوبا متطوراً ، من خلاله الحيوان المنوى الذكرى ، إلا أنهما لم يفهما دوره فى عملية الإخصاب . فقد ظنا أنه يحتوى على جنين مصغر للإنسان (وبذلك لا دخل للمرأة فى تكوين الجنين ، وتسمى هذه النظرية : نظرية التخليق المسبق) .

وقد انقضى الجدال نهائيا حول نظرية التخليق المسبق حوالى عام ١٧٧٥ عندما بين سبالا نزانى أن كلا من بويضة الأنثى والحيوان المنوى الذكرى ضرورى لتكوين الجنين » (١) .

« وفى عام ١٨٧٥ تمكن هيرتويج من ملاحظة كيف يلقح الحيوان المنوى البويضة . وأثبتت بذلك أن كلا من الحيوان المنوى والبويضة يسهمان فى تكوين البويضة الملقحة (الزيجوت) . وكان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه ويصفها .

وفى عام ١٨٨٣ تمكن فان بندن من إثبات أن كلا من البويضة والحيوان المنوى يساهمان بالتساوى فى تكوين البويضة الملقحة .

وقد أثبت بوفرى عام ١٨٨٨ وعام ١٩٠٩ أن هذه الكروموسومات تنقسم وتحمل خصائص وراثية .

وهكذا يبدو بوضوح أن الإنسانية لم تعرف بواسطة علومها التجريبية أن الجنين الإنسانى (أو الحيوانى) يتكون بامتشاج واختلاط نطفة الذكر ونطفة الأنثى إلا فى القرن التاسع عشر ، ولم يتأكد لها ذلك إلا فى القرن العشرين » (٢) .

*

أما على الجانب الآخر فنجد أن هذه المعلومات الأساسية حق خلق الإنسان فى متناول كل مسلم يقرأ القرآن ، يعرفها الصبى الذى يتتلمذ على معلم للقرآن ، كما يعرفها البدوى الذى حفظ شيئا من آيات القرآن .

فلقد جاءت أول آيات القرآن نزولا تحدث الناس عن خلق الإنسان ، فتقول :

---

(1) Keith L. Moore: THE DEVELOPING HUMAN , Toronto, 1983 .

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن : الدكتور محمد على البار – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ١٩٨٦ – ص ١٨٨ .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾

[سورة العلق : ١ - ٢] .

ويبين القرآن أن الإنسان خلق من اختلاط نطفتى الجنسين ، الذكر والأنثى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعَا بَصِيراً ﴾

[سورة الدهر : ٢] .

ولقد بين رسول الله ﷺ هذه الحقيقة فى إجابته ليهودى سأله عما إذا كان تخليق الإنسان من الرجل أم من المرأة فقال له : « يا يهودى ! من كل يخلق . من نطفة الرجل ونطفة المرأة » . (أخرجه الإمام أحمد فى مسنده) .

وأن الإنسان فى بطن أمه يمر بأطوار مختلفة :

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ﴾

[سورة الزمر : ٦] .

﴿ مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

[سورة نوح : ١٣ - ١٤] .

ثم يفصل القرآن ما أجمله عن خلق الإنسان فيقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : ١٢ - ١٤] .

إن من المعلوم أن ترجمة القرآن إلى اللاتينية بدأت فى القرن الثانى عشر الميلادى . ولو حاول الأوربيون الذين يقرؤون اللاتينية - وهم قليل فى تلك العصور المظلمة - أن ينظروا فى القرآن نظرة موضوعية تتسم بحيدة العالم المدقق لعرفت أوربا مبكراً مبادىء خلق الإنسان التى أوردها القرآن بوضوح ، ولبدأ علم الأجنة فيها مبكرا قبل سبعة قرون .

ولكنه التعصب الأعمى والضلالات المتوارثة هى التى فعلت فعلها عبر القرون وعطلت تقدم الإنسان .

إن ما فى القرآن من حقائق علمية – ينفرد بها عن سواه من كتب مقدسة أخرى – ليقطع بأنه كلمة الله الأخيرة إلى الناس كافة .

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾

[سورة الحج : ٥٤ – ٥٥] .

إن هذا قليل من كثير ، وإيجاز شديد من غير شـرح أو تفصيل ، لبعض ما يمكن عرضه من مظـاهر الإعجاز العلمى للقرآن فيما يتعلق بخلق الكون والحياة .

*

أما بعد :

إن ما جاء فى « الكتاب المقدس » بوجه عام ، وما جاء فى أسفار موسى – وخاصة سفر التكوين – من تصادم مع حقائق العلم فيما يتعلق بخلق الكون والحياة ، لهى أمور يبرّىء منها أهل العلم موسى والأنبياء ، فهى من عمل كتبة الأسفار الذين لم يراعوا الدقة فيما سطروه ، وها هى مقدمة أسفار الشريعة الخمسة (أسفار موسى) تقول :

« ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك (الكتب الخمسة) منذ قصة الخلق إلى قصة موته » [١] .

هذا تقرير إجمالى ، نجد تفصيلا له فى **كتب الشريعة الخمسة** ، المترجمة إلى العربية نقلا عن **الترجمة الفرنسية المسكونية** التى قام بها ١٢٥ عالما ، إذ

(١) مقدمة الكتاب المقدس ، الصادر عن دار المشرق – بيروت – ١٩٨٣ .

تقول فى تقديمها لسفر التكوين ما يقطع بأنه من عمل مؤلفين مختلفين تأثروا بأساطير الشرق الأدنى القديم ٠

« لم يتردد **مؤلفو الكتاب المقدس** ، وهم يروون بداية العالم والبشرية ، **أن يستقوا معلوماتهم** ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، **من تقاليد الشرق الأدنى القديم** ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية ٠

على أن **المؤلفين** الذين أعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين ، وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة ، لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل **أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم** ٠

بديهى أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم ، أو بأبطال العصور القديمة ، لا تخلو من الفائدة فى نظر قارىء الكتاب المقدس ٠ فهناك كثير من الشواهد عن الماضى الأدبى فى الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم على يد الإله مردوك ، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن الطوفان ، أو الأبراج الشامخة التى شادتها مدن ما بين النهرين إكراما لآلهتها والتى تذكّر برواية برج بابل ٠

وُضعت روايات الآباء فى زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة إليها » ٠

*

إن الله الذى وسعت رحمته كل شىء ، يخاطب الناس جميعا فى القرآن العظيم ، آخر كتبه للناس ، فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيماً ﴾ [سورة النساء : ١٧٤ ، ١٧٥] ٠

* * *

المراجع الرئيسية

(أ) تراجم عربية للكتاب المقدس

١ – الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط) ٠

٢ – كتب الشريعة الخمسة (دار المشرق – بيروت) ٠

٣ – العهد الجديد (دار المشرق – بيروت) ٠

(ب) تراجم إنجليزية للكتاب المقدس

4 - King James Version

5 - Revised Standard Version (R . S . V)

(جـ) تراجم فرنسية للكتاب المقدس

6 - Traduction Oecuménique de La Biblel (T . O . B)

7 - La bible de Jérusalem

(د) مراجع أخرى

٨ – الإسلام عقيدة وشريعة : الإمام الاكبر محمود شلتوت – دار الشروق – القاهرة ٠

9 - Karen Armstrong : The Gospel According to Woman , elm tree , London , 1986 .

10 - G . Caird : Saint Luke , Penguin Books , London , 1963 .

11 - J . Fenton : Saint Matthew , Penguin Books , London , 1963 .

12 - G . Wells : The jesus of the Early Christians , Pemberton Books , London , 1971 .

* * *